جامعة النجاح الوطنيَّة
كليَّة الدراسات العليا

توظيف الموروث في شعر أبي الفوارس (حَيصَ بَيص)

إعداد
إيمان عزات محمود عبد

إشراف
د. عبد الخالق عيسى

قدّمت هذه الرّسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربيّة وآدابها بكليّة الدّراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.
2018م

توظيف الموروث في شعر أبي الفوارس (حَيصَ بَيص)

إعداد

إيمان عزات محمود عبد

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2018/10/10م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	**التوقيع**
1. د. عبد الخالق عيسى / مشرفاً رئيسياً	.....
2. أ. د. حسام التميمي / ممتحناً خارجياً	.....
3. أ. د. إحسان الديك / ممتحناً داخلياً	.....

الإهْدَاء

إلى روح والدي، رحمه الله

إلى أمي الغالية، أكرمها الله

إلى رفيق دربي، زوجي الغالي

إلى عزّي وسندي، إخواني وأخواتي

إلى نور عيني، وذخيرة حبي، أبنائي:

مجاهد، آمال، أحمد، أيمن، أماني

إلى كل من عمل لخدمة اللّغة العربيّة

إليهم جميعاً أهدي ثمرة هذا العمل

الشّكر والتّقدير

لا يسعني بعد إتمام هذا العمل بفضل الله تعالى إلّا أن أتقدّم بخالص شكري وتقديري إلى أستاذي الدكتور عبد الخالق عيسى، الذي تفضل بالإشراف على هذا الجهد المتواضع، ولم يبخل عليَّ بالوقت والجهد، وإبداء الملاحظات، فكان نعم الموجّه ونعم المعلّم.

وأتقدم بعظيم الشكر والامتنان إلى بقية أعضاء لجنة المناقشة الأستاذين الكريمين الدكتورإحسان الدّيك، والدكتورحسام التّميمي؛ لتكرمهما بقبول قراءة رسالتي ومناقشتها، فبارك الله فيهما، وجعلهما ذخراً لأهل العلم.

كما أتقدم بالشكر إلى أساتذتي في قسم اللغة العربية بجامعة النجاح الوطنية، على ما منحوني إيّاه من رعاية وتشجيع مستمر، فجزاهم الله عنّي خير الجزاء.

ولا يفوتني أن أشكر كلّ من كان لي عونًا وسندًا لإتمام هذا العمل المتواضع، راجيًا من الله العليّ القدير أن يجزيهم خير الجزاء، إنّه نعم المولى، ونعم النصير.

الإقرار

أنا الموقّعة أدناه، مقدّمة الرّسالة الّتي تحمل العنوان:

توظيف الموروث في شعر أبي الفوارس (حَيصَ بَيص)

أقرّ بأنّ ما اشتملت عليه هذه الرّسالة إنّما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء مـــا تمّـــت الإشارة إليه حيثما ورد، وأنّ هذه الرسالة كاملة، أو أيّ جزء منها، لم يقدّم من قبـــل لنيـــل أي درجة علميّة، أو لقب علمي، أو بحث لدى أي مؤسّسة تعليميّة أو بحثيّة أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis، unless otherwise referenced، is the researcher's own work، and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name: **اسم الطالبة:**

Signature: **التوقيع:**

Date: **التاريخ:**

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ج
الشّكر والتّقدير	د
الإقرار	هـ
فهرس المحتويات	و
الملخّص	ط
المقدّمة	1
التّمهيد	3
اسم الشاعر ونسبه	6
أخلاقه وصفاته	7
شيوخه وثقافته	8
نظرة في شعره	9
الفصل الأول: الموروث الدّيني في شعر أبي الفوارس (حيص بيص)	**11**
توطئـــة	12
المبحث الأول: توظيف الجملة القرآنيّة	14
المبحث الثاني: توظيف المعنى القرآني	24
المبحث الثالث: توظيف الشّخصيّات القرآنية	29
نوح عليه السّلام	30
ذي القرنين	31
يعقوب عليه السلام	33
يوسف عليه السلام (عزيز مصر)	33
أيوب عليه السّلام	34
موسى عليه السلام	34
داود عليه السلام	35
سليمان عليه السّلام	36
الملك هاروت	38
الفصل الثاني: الموروث التّاريخي في شعر أبي الفوارس (حيص بيص)	**40**

الموضوع	الصّفحة
توطئـــــــــة	41
المبحث الأول: توظيف الشّخصيات التّاريخيّة	42
أبو رغوان	42
ابن مُكدَّم	42
حاتم الطّائيّ ومعن بن زائدة	43
حاجب ولقيــط	45
أكثم بن صيفي	46
النّعمان بن المنذر، المحرّق (عمرو بن هند)، ومنذر اللّخمي	47
العبّاس بن عبد المطّلب	48
أويس بن عامر القرني	49
الحجّاج بن يوسف	50
يحيى بن خالد البرمكي، وجعفر بن يحيى البرمكي	51
المبحث الثّاني: توظيف الأحداث التّاريخيّة	53
يوم الكُلاب	53
ذات كهف	54
يوم ذي قار	55
بدر الكبرى	56
عام الرّمادة	57
وقعة الجمل	58
الفصل الثّالث: الموروث الأدبي في شعر أبي الفوارس (حيص بيص)	**60**
المبحث الأوّل: توظيف شعراء العصرين: الجاهليّ وصدر الإسلام	63
أوس بن حجر	63
امرأ القيس	64
السّموأل	65
الحارث بن حلّزة اليشكري	66
النّابغة الذّبياني	67
زهير بن أبي سُلمى	68
عنترة بن شدّاد	70

الموضوع	الصّفحة
حمل بن بدر القشيري	71
عمرو بن معد يكرب الزّبيدي وقس بن ساعدة الإيادي	72
الخنساء (تماضر بنت عمرو)	73
علي بن أبي طالب – رضي الله عنه	75
المبحث الثاني: توظيف شعراء العصرين: الأمويّ والعبّاسيّ	75
قيس بن الملوّح	75
سالم بن وابصة	76
ذي الرُّمة	76
البُعيْث	78
جرير والفرزدق	78
الشّافعي	80
أبي تمام	81
المتنبي	81
المبحث الثالث: توظيف الأقوال المأثورة (المثل والحكمة)	83
حلبتُ الدّهر أشطره	84
كمستبضع التّمر إلى هَجَر	85
يوم لا يُنادى فيه الوليد	86
فلانٌ تَقيّل أباه	86
سبق السّيف العذل	87
مرعى ولا كالسّعدان	87
كلّ إناءٍ بما فيه ينضح	88
نَحت أثلَه	89
العفو عند المقدرة	89
الخاتمة	**93**
قائمة المصادر والمراجع	**94**
Abstract	**b**

توظيف الموروث في شعر أبي الفوارس (حَيصَ بَيص)

إعداد

إيمان عزات محمود عبد

إشراف

د. عبد الخالق عيسى

الملخص

تناولت هذه الدّراسة توظيف الموروث بأنواعه المختلفة في شعر أبي الفوارس، ولعلّ الموروث الدّيني كان حاضرًا بقوّة، حيث اغترف الشاعر من نبع مفردات القرآن الكريم ومعانيه، وشخوصه؛ ليمنحَ شعره قوّةً وإثارة، ثمّ ولج في التاريخ فتغنّى بالأحداث والشخوص في قصائده، ولم يفت الشاعر أن يتحدّث عن كبار الشعراء، فيذكرهم، ويتأثّر بشعرهم؛ ليدخل في مصاف فحول الشعراء والمبدعين، وقد سلّطت الباحثة الضّوء على الموروث المتعلّق بالشخصيّات والأحداث مراعيةً الترتيب الزّمني لها

اعتمدت الباحثة في هذه الدّراسة على المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، وذلك من خلال استحضار مواطن الموروث، وتحليلها، وبيان جمالياتها، ثمّ الرّبط بين الموروث والمعنى الذي أراده الشاعر.

وقسّمت الباحثة الدراسة إلى تمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

أشارت الباحثة في التمهيد إلى أحوال العصر السلجوقيّ الذي نشأ فيه الشّاعر، ثم الحديث عن اسمه، ونسبه، ونشأته، ومكانته العلمية.

وقد تناول الفصل الأول الموروث الديني في شعر أبي الفوارس، وقُسّم إلى ثلاثة مباحث، الأوّل: الجملة القرآنية، والثاني: المعنى القرآني، أمّا المبحث الثّالث: فقد تناول فيه شخصيات الأنبياء وقصصهم الواردة في القرآن الكريم.

واشتمل الفصل الثاني على الموروث التاريخي في شعر أبي الفوارس، حيث تحدّثت فيه الباحثة عن الأحداث والشخصيات التاريخيه التي استحضرها الشاعر في شـــعره، وأثـــر هـــذا التوظيف في التشكيل الفنّي والجمالي.

أمّا الفصل الثّالث فتحدّث عن الموروث الأدبي في شعر أبي الفوارس، وقُسم الفصـــل إلى ثلاثة مباحث: الأول: توظيف شعراء العصرين الجاهلي وصدر الإسلام، والثاني: توظيف شعراء العصرين الأموي والعباسي، والثالث: توظيف الأقوال المأثورة : (المثل والحكمة) حيث يعد انفتاح الشاعر على الموروث الأدبي القديم، وتأثره بالشخصيات الأدبية؛ دلالة على ثقافتـــه، وسعة اطّلاعه على نتائج الآخرين.

وأخيرًا أنتهت هذه الدّراسة بخاتمة، وتمّ بعدها رصد أهم النتائج، منها أنّ الشاعر استلهم الرّموز الدينيّة ، ووظّف المفردات والتراكيب القرآنيّة؛ ممّا جعل شعره ذا قوّة تأثيريّة.

ولعلّ توظيف الموروث التاريخي والأدبي يعكس سعة المخزون الثقافي لدى الشـــاعر، ممّا جعل ديوانه سجلًّا تاريخيًّا حافلًا لكثير من الأحداث في العصر السّلجوقي خاصّة.

المقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، أحمدك ربّي حمداً كثيرًا طيبًا مباركًا، والصّلاة والسّلام على من لا نبيّ بعده، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد:

إنّ توظيف الموروث ظاهرة من الظواهر النّقدية التي شغلت الأدباء والنّقاد في العصور المختلفة، ففي العصر السلجوقي اشتهر أبو الفوارس، حيث طرق أبواب الفخر والمديح، موظّفًا أشكال الموروث، ومتأثّرًا بالشعراء الآخرين الكبار في العصور المختلفة، كغيره من الشّعراء الذين تأثّروا بسابقيهم، وضمّنوا أشعارهم بما يحلو لهم به؛ ممّا جعل شعرهم زاخرًا بالموروث، ولا شكّ أنّ ثقافة أبي الفوارس الدّينيّة، والتّاريخيّة، واللّغوية ساعدته في توظيف الموروث بصورة ناجحة.

وطرق أبو الفوارس أبواب الأمراء والملوك، فمدحهم وتغنّى بأمجادهم، وأراد الانتصار لهم بالكلمة، فمدح، وتغزّل، ورثى، وأحاطهم بهالة من التعظيم، فوظّف المفردات والتراكيب القرآنية، وولج التاريخ لينتقيَ عظماء الشخصيات؛ ليدمج الماضي بالحاضر؛ فيشكّل نصًّا حدثيًّا غنيًا بالتجربة التي عكست ثقافته الواسعة، ومخزونه الفكري المتنوّع.

وعلى الرّغم من أهميّة الموضوع إلّا أنّ الباحثة لم تعثر على دراسة علميّة واحدة مختصّة تناولت الموروث في شعره، إلّا بعض الدراسات التي تناولت هذا الشاعر ولا تكاد تُذكر على الرّغم من غزارة المادّة الشعريّة التي حفل بها ديوانه، وأهمها:

– دراسة للباحث أيمن الصياد، (بناء القصيدة في شعر "حيص بيص")[1]، وقد تناولت المضامين الشعرية عند الشاعر.

– دراسة (اللغة الحماسية في شعر أبي فراس الحمداني وأبي الفوارس)[2]، وقامت الدراسة على بناء اللغة الحماسية وبعض مظاهرها المتنوعة دون التطرّق إلى توظيف الموروث.

---

[1] ينظر: الصيّاد، أيمن السيد علي: **بناء القصيدة في شعر حيص بيص– دراسة في المضامين وآليات النص**، دار الكتب العلمية، المدينة المنورة، 2004.

[2] ينظر: جاسم محمد جاسم، والزبيدي، نصرة أحميد: ***اللغة الحماسية في شعر أبي فراس وأبي الفوارس الحيص بيص***، **مجلة جامعة الأنبار**، 2009،العدد 1، ص161.

منهج البحث

اعتمدت الباحثة هذه الدّراسة على المنهج الوصفي التحليلي من خلال عرض النصوص الشعريّة، والإشارة إلى مواطن التّراث، ثم الكشف عن الجمال الفني في هذه المواطن.

خطّة البحث

قُسّمت الدّراسة إلى مقدّمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

ففي التمهيد ناقشت الباحثة أحوال العصر السلجوقي الذي نشأ فيه الشاعر؛ لإدراك العوامل التي كوّنت شخصيته، والمصادر الثقافية المتعددة التي صقلت موهبته الشعرية، ثم الحديث عن حياة الشاعر الاجتماعيّة والأدبيّة، ومكانته، وشيوخه، وأقوال العلماء فيه.

أمّا الفصل الأول (الموروث الديني في شعر أبي الفوارس)، فتناول مواطن الموروث مع المفردات القرآنية وتراكيبها، ثمّ الحديث عن الشخصيّات القرآنيّة.

واشتمل الفصل الثاني على (الموروث التّاريخي في شعر أبي الفوارس)، وجاء في قسمين: الأول: توظيف الشخصيّات التّاريخيّة، والثاني توظيف الأحداث التّاريخيّة،

وخُصّص الفصل الثالث للتراث الأدبي في شعر أبي الفوارس، وجاء في ثلاثة أقسام: الأوّل توظيف شعراء العصرين الجاهلي والإسلامي، والثّاني توظيف شعراء العصرين: الأموي، والعباسي، والثّالث توظيف الأقوال المأثورة (المثل والحكمة).

وتمّ في هذه المحاور الحديث عن مواطن الموروث في النّص الشعري والنّثري، أو الشخصيّة الأدبيّة، ومواطن الجمال الفنّي، والتشكيل الجمالي، والصورة الفنيّة.

وانتهت الرسالة بخاتمة تناولت أبرز النّتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة.

التّمهيـــد

يكاد الإنسان يجزم بأنه لا يوجد شاعر في عصر إلا وقد أذعــن للثّقافــات المتنوّعــة والمعاصرة له، واتّخذ منها غذاء لعقله وقلبه، وتأثّر بمجريات ذلك العصــر الــذي نشــأ فيــه، وخاصّةً إذا كان العصر حافلًا بالصراعات والخلافات، وهو الحال الذي عاشه الشاعر في ظــلّ الحكم السّلجوقي، فكان شعره مرآة تعكس بعضًا من الخلافات بين كبار رجال الدّولة.

فحين تجزّأت الدولة العباسيّة وتقطّعت أوصالها، ونشبت فيها الثورات والفــتن، مــدّت الأمم الأعجمية أنظارها، "فتوغّل السّلاجقة الأتراك في بلاد فارس، وزحفوا إلى العراق، فدخلوا بغداد واستولوا عليها، ودانت لهم البلاد من حدود الصين إلى آخر حدود الشّام.

ولا شكّ أنّ فارس وخرسان والعراق بلاد غنية بالحضارات، خصبة بالمعارف كان لها تراث من المدنيات والفنون والآداب، "ويضاف إلى ذلــك تشــجيع الدولــة، وعنايــة الحكــام والسلاطين، وإن كان في هذه الحقبة أناس لم تجر العروبة في دمائهم؛ إلا أنهم كانوا حريصــين أن تكون الضاد لغة العلم والأدب، والثقافة والمعرفة"[1].

ظلَّ سوق الأدب والعلم مزدهرًا على الرغم من الاضطرابات والأحداث السياسية التــي سادت القرن السادس الهجري، فقد نقل عدد غير قليل من المــؤرخين أن الأدب فــي العصــر السلجوقيّ شهد نهضة علمية وأدبية كبرى، وقد ظَلّت المساجد محلاً للعلم، وظهــرت الكتاتيــب القرآنية، يتلقى فيها العلماء مبادئ القراءة والكتابة، والقرآن الكريم، والعلوم، وظلت أندية الثقافة ومجالسها نشطة في هذا العصر، سواء في بلاط الأمراء والوزراء، أو في الســاحات والأنديــة والمجالس[2].

وكان الوزير السلجوقي نظام الملك من الحكام والسلاطين الذين شجّعوا العلــم والأدب، "فقد كرّم العلماء والأدباء وشجّعهم ماديًا ومعنويًا، واهتم ببناء طائفة من المــدارس فــي بلــدان

---

[1] أبو الخشب، إبراهيم علي: **تاريخ الأدب العربي– العصر العباسي الثاني**، دار الفكر العربي، (د– ط)، 1947، ص 47.

[2] يُنظر: السبكي، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي: **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، 309/4، وينظر: ضيف شوقي: **تاريخ الأدب العربي _ عصر الدول والإمارات**، دار المعارف، ط4، القاهرة، ص 276.

مختلفة من العراق وإيران لمحاربة النِّحلة الإسماعيلية، ونشر المذهب الشافعي في الفقه ومذهب الأشعري في علم الكلام، وعني بمدرسته النظامية ببغداد، واستقدم لها العلماء من نيسابور، فكانت المدرسة النظامية في بغداد أشبه بجامعة كبيرة، ألحق بها نظام الملك مكتبات نفيسة"[1].

يُلحظ مما سبق أنّ هناك ارتباطًا وثيقًا بين ثقافة "حيص بيص" وما كان سائداً في ذلك العصر من مصادر العلم والثقافة والمعرفة.

وبرز للسلاجقة في أوج عظمتهم عدو من أنفسهم نشر الذعر سنوات طويلة، هذا العدو هو "الفرق الإسماعيلية الشرقية " التي سميت بالحشاشين، أو الفرق الصبّاحية، "وهم مجموعة من الدّجالين، استطاعوا تحت قناع من التشدّد الديني والأخلاقي الإساءة إلى الأديان كلّها، واستطاعوا أن يبثوا الرعب والخوف في قلوب النّاس، وكان يجتمع الحشاشون في جلسات سرّية لمناقشة وسائل القتل والإجرام والخراب"[2]. ولكنّ السلاجقة ظلوا يتعقبونهم حتى تمكّنوا من القضاء عليهم، "وكان لانتشار الفرق الدينية والمذاهب المختلفة التي اتخذت من العلم والأدب وسيلة ونهجاً لتحقيق أغراضها السياسية والدينية، عظيم الأثر على الحركة العلمية والأدبية، فالشعراء يلهبون الحماس، ويناصرون فرقة على فرقة، والكتّاب يؤلّفون الكتب في كشف كلّ فرقة، أو الدفاع عنها"[3].

إنّ عهد ضعف الخلافة العباسية يتجلّى بتغلّب الغلمان الترك على مقاليد الأمور واستيلائهم على المناصب المدنية والعسكرية ومقاليد الحكم، مما أثار حقد العرب[4]، فوعى حيص بيص ذلك كله، وأثر في نفسه. ولعلّ المتصفح لديوانه يجد أنّه عريق الأصل، غيور على مصالح الأمة، ملتزم بشعائرها، وقد بذل جهده في إبراز الشخصية العربية، فكان يلبس القباء والعمامة، ويتزيا بزي الأعراب، ويتقلد سيفاً، ويتغنّى بأمجد العرب، وايامهم، ويذكر سجاياهم الحميدة.

---

[1] السبكي، تاج الدين أبي نصر: **طبقات الشافعية الكبرى**، 313/4.

[2] لويس، برنارد: **الحشاشون فرق ثورية في تاريخ الإسلام**، تعريب: محمد العزب موسى، مكتبة مدبولي، ط2، 2006، ص 28 – 29.

[3] التونجي، محمد: **حول الأدب في العصر السلجوقي**، مكتبة قورينا، ط1، بنغازي، 1974، ص 80.

[4] المرجع السابق، ص68.

"فقد وصف الغارات والحروب، وما نتج عنها من قتل ودماء، فإذا خلص إلى المدح وصف ممدوحه بأنه الفارس المغير والجواد المِطعام، إلى غير ذلك ممّا تمدح به العرب من شيم ومثل عليا"[1].

ومن ذلك ما قاله معتزًا بأمته، متمسكًا بأصالته العربية:

يـــا رواةَ الشـــعرِ، لا تـــرووهُ لـــي فبغيـــرِ الشـــعرِ شِـــيدَتْ رُتبـــي
لَســـتُ بالقاعـــدِ عـــن مكرمـــةٍ وأبـــو رغـــوانَ ذو المجـــدِ أبـــي[2]

"وكان الأمراء والخلفاء يسعون دائمًا إلى تشجيع الأدب، ويسعون إلى تقريب الشعراء والأدباء، فالشعر والعلم لا يزهوان إلاّ في ظل ملك أو أمير"[3]، ومن مظاهر تشجيع الحكّام للأدباء تكريمهم، ومنحهم العطايا الجزيلة تارة، أو تقليدهم المناصب الرفيعة تارة أخرى، ولهذا نلاحظ انتشار المدح في هذا العصر واشتداد التنافس بين الشعراء والكتّاب الذين كان همهم أن يحظوا بقرب من الحكام؛ رغبة في نيل عطفهم وكرمهم وعطاياهم[4].

وشعر حيص بيص في معظمه مديحٌ يتخلله في كثير من الحالات الحماسة، والفخر، ووصف الحرب، وقد أجاد فيها إجادة ميّزته عن شعراء عصره، وجعلته مقدّمًا عليهم.

يستعرض العماد الأصبهاني في خريدة القصر ديوان حيص بيص على ترتيب الحروف في الافتخار والمديح[5]، ويذكر له ثلاثة أبيات هنأ بها الخليفة "المستضيء بأمر الله[6]" حين اعتلى عرش الخلافة سنة 566، وهي قوله:

---

[1] أبو الفوارس، الأمير شهاب الدين، (حيص بيص): **ديوانه**، تحقيق: مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر، منشورات وزارة الأعلام، العراق، 1974، 35/1.

[2] حيص بيص: **الديوان**، 266/1.

[3] الزيات: أحمد حسن: **تاريخ الأدب العربي**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ط6، 1935، 246.

[4] ينظر: حسن، إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي**، مكتبة النهضة، ط14، بيروت، 1996، 452.

[5] ينظر: الأصبهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن نفيس: **خريدة القصر وجريدة العصر، القسم العراقي**، تحقيق: محمد بهجت الأثري، مطبعة مجمع العلم العراقي، 1955، 350/1 – 366.

[6] المستضيء بالله: هو أبو محمد بن الحسن بن يوسف، باشر يوم مبايعته برد المظالم، والإفراج عن المسجونين، له صولات وجولات، يُنظر: ابن الأثير،علي بن محمد الجزري عز الدين أبو الحسن: **الكامل في التاريخ**، راجعه، محمد يوسف الدقّاق، ط 4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، 97/10.

أقـــولُ وقـــد تـــولّى الأمـــرَ حَبـــرُ   وَلـــــيٌّ لـــــم يـــــزلْ بَـــــرّاً تقيَّــــا
وقـــد كُشـــفَ الظَـــلامُ بمستضـــيءٍ   غـــــدا بالنـــــاسِ كلِّهـــــم حفيًّــــا
بلَغنــــا فـــوقَ مـــا كُنّـــا نُرجّـــي   هنيّــــا يــــا بنــــي الـــدُنيا هنيًّــــا[1]

تقرّب الشاعر من السلطان محمود بن محمد بن الملكشاه[2]، ذكر ابن خلكان " أنـــه كـــان قوي المعرفة بالعربية، حافظًا للأشعار والأمثال، والتواريخ، وكان شديد الميل إلى أهـــل العلـــم والخير"[3].

اسمه ونسبه

هو أبو الفوارس، شهاب الدين سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمـــي البغـــدادي، الملقّب " حيص بيص"، درس الأدب والفقه الشّافعي، ونبغ في دراسة اللغة، والتوسع في معرفة لهجاتها، وكان من أخبر الناس بأشعار العرب واختلاف لغاتهم، وقد أجمع مترجمـــوه علـــى أن بعض طلاب اللّغة قرؤوها عليه، وبخاصة غريب اللغة، فضلًا عن أخذ الشعر عنـــه[4]، وســـبب

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 279/3.

[2] هو محمود بن السلطان محمد بن ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقي، تولى الحكم بعد أبيه وهو حدث في أول سنة اثنتي عشرة، كان ذكيًا فطنًا، له معرفة بالنحو وميل إلى العلم، ينظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمـــان، (ت 748 هـــ): **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: بشار معروف، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 11، بيروت، 1996، 525/19.

[3] ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن بكر، (608– 681): **وفيات الأعيان**، تحقيق: إحسان عبـــاس، دار صـــادر، بيروت، 269/4.

[4] ينظر: ابن كثير، أبو الفدا عماد الدين اسماعيل بن عمر الدّمشقي: **البداية والنهايـــة**، مكتبـــة دار المعـــارف، بيـــروت، 1991، 301/12، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، 362/2 فما بعد، العماد الأصبهاني: **خريدة القصر وجريدة العصر**، القسم العراقي، 202/1، العاملي: أمين، محسن، **أعيان الشيعة**، تحقيق: حسن الأمين، دار التعـــارف للمطبوعـــات، بيـــروت، 1986، 229/7، الحموي، ياقوت: **معجم الأدباء**، تحقيق: إحسان عباس، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيـــروت، 1993، 368/3 فما بعد، الذهبي، شمس الدين بن عثمان، (784 هـــ): **تاريخ الإسلام**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتب العربي، ط1، بيروت، 1996، ص 142، الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمـــان: **العبـــر**، دار الفكـــر، ط 1، بيـــروت، 133/2، اليافعي، أبي محمد عبد الله بن أسعد، (ت 768 ه): **مرآة الجنان**، ط 1، دار الكتب العلميـــة، بيـــروت، 1997، 399/3، ابن تغري بلدي، جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي: **النجوم الزاهرة**، دار الكتب، المؤسسة المصـــرية، (د_ط)، 83/6 . ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي: **المنتظم في التاريخ**، تحقيق: محمد عبد القادر عطـــا، دار الكتـــب العلمية، بيروت، 288/18، العماد الحنبلي: **شذرات الذهب**، تحقيق: محمود الأرنؤوط، دار بن كثير، ط6، بيروت، 1986 410/6 ، ابن حجر العسقلاني: الحافظ شهاب الدين أبي الفضل بن حجر، (ت 852هـــ): **لسان الميزان**، مؤسسة الأعلام للمطبوعات، ط2، بيروت، 1971، 19/3، الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمان : **سير أعلام النبلاء**، 61/21، الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط 15، بيروت، 362/2 .

تسميته بحيص بيص؛ أنه رأى الناس يومًا في شدّة وحركة، فقال: " ما للناس في حيص بيص !" فلقب به، ولزمه ذلك لقبًا[1]، فالعرب تقول: وقع الناس في حيص بيص[2].

ينتهي نسب حيص بيص إلى أكثم بن صيفي، حكيم العرب المشهور[3]. وقد حاول بعض الناس التشكيك في نسبه، دون أن يستندوا إلى حجّة تدفع صحة انتسابه، إلاّ أنّ الشاعر المعاصر له هبة الله بن الفضل المعروف بابن القطّان، زعم أنّه سأل أبا حيص بيص عن صحّة انتسابه إلى أكثم بن صيفي، فقال: " والله ما عرفت أني من تميم حتى أخبرني بذلك ولدي"[4].

وذكر محقِّقا الديوان "أنّ هذه رواية تدلّ صيغتها على زيفها، وابن القطّان عرف بالمجون، وكثرة الهجو للنّاس، والسخرية من ساداتهم، وعرف عنه أنه كان دائمًا يكيد لأبي الفوارس ويناقضه"[5].

ولد الشاعر في بغداد في القرن السادس للهجرة، ولم تذكر كتب التراجم تاريخ ولادته، وكان إذا سئل عن عمره يقول: " أنا أعيش في الدنيا مجازفة"، لأنه كان لا يحفظ مولده[6].

أخلاقه وصفاته

ذكر المؤرّخون أنّ حيص بيص كان شاعرًا فاضلًا وقورًا، وافر الحرمة مع الخاصّة والعامّة[7]، عظيم النفس، يلتزم السلوك الكريم والتأدّب بآداب الشرع، "وقد آذاه كثير من الشعراء، الشعراء، وغيرهم من الناس، وسخروا منه، فاحتمل ذلك بصبر وجلد"[8]، ومما يدلّ على ورعه أنّه كان يذكّر ممدوحيه من الأمراء والسلاطين والوزراء بالتزام شكر النعم، والإحسان إلى

---

[1] ينظر: ابن ثغري بلدي: **النجوم الزاهرة**، 6/ 83 .

[2] حيص بيص: ألضيق والشدّة، وقيل: الاختلاط في الأمر الذي لا مخرج منه. ينظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، (د– ط)، 2003، مادة حيص.

[3] ينظر: الأصبهاني، عماد الدين: **خريدة القصر وجريدة العصر**، 202/1.

[4] ابن كثير: **البداية والنهاية**، 301/12.

[5] حيص بيص: **مقدمة الديوان**، 37/1.

[6] ينظر: ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، 362/2.

[7] ينظر العسقلاني: **لسان الميزان**، 19.

[8] حيص بيص: **مقدمة الديوان**، 39/1.

الناس، والعفو عمن أساء إليهم، ومن ذلك قوله لدبيس بن صدقه[1]، ينصحه بالعفو عمّن أساء إليه:

ظفـــرتَ فـــأوفِ اللهَ شـــكرًا فإنّـــهُ يـــزدكَ عـــلاءً إن تـــزدهُ تضـــرّعا
وصـــفحًا عـــن الجـــاني فكـــلُّ خليقـــةٍ تقـــلُّ عـــن الغفـــرانِ والحلـــمِ موضـــعا
ومـــا بـــاتَ يرضـــي ربّـــهُ مثـــل قـــادرٍ تجـــاوزَ عـــن جـــرمٍ جليـــلٍ تورّعـــا[2]

ورد في تاريخ الإسلام للذهبي، نقلًا عن عبد الباقي بن زريق الحلبي الزاهـد:" رأيتـه واجتمعت به، فكان صدرًا في كل علم، عظيم النفس، حسن الشـارة، يركـب الخيـل العربيـة الأصيلة،... يأخذ نفسه بمآخذ الأمراء، ويتبادى في لفظه، ويعقد القـاف، وكـان أفصـح مـن رأيت"[3].

شيوخه وثقافته

اهتمّ أبو الفوارس بالعلم منذ نعومة أظفاره، فقد التحق بطلب العلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وقد درّسه الآداب أستاذه علي بن زيد الفصيحي المتوفى سنة 516هـ"[4]، فـي المدرسـة النظامية، " وسمع الحديث من الشريف أبي طالب الزينبي، الحسين بن محمد الزينبي في بغداد، ثم ذهب إلى واسط، وأخذ الحديث عن أبي المجد محمد بن محمد بن جهور"[5].

"وتفقَّه أيضًا على أسعد المرّي، وكان مقدامًا في علوم عدّة، لزم الحلّة، ومدح آل مرئد، ثم دخل بغداد، وتكلّم في مسائل الخلاف، وناظر في الأدب"[6]، ووُصف الشاعر بغـزارة العلـم، وتعدد جوانب فضله، فهو أديب، وشاعر، وناثر، ولغوي، وفقيه، وجدلي، وإخباري[7]، "أخذ عنه

---

[1] هو الملك نور الدولة أبو الأعز دبيس بن الملك سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس الأسدي، كـان أديبًـا جـوادًا، وشجاعًا، فحارب في معارك كثيرة في العراق، كان أمير الحلّة. يُنظر: الذّهبي: **سير أعلام النّبلاء**، 612/19

[2] حيص بيص: **الديوان**، 171./1.

[3] الذهبي: **تاريخ الإسلام**، 142.

[4] الدبيثي: الحافظ أبو عبد الله محمد بن سعيد (558 – 637 ه): **ذيل تاريخ مدينة السلام**، تحقيق: بشار عواد معـروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006، 317/3.

[5] الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، 61/21.

[6] ابن حجر العسقلاني: **لسان الميزان**، 19/3.

[7] ينظر: كحاله، عمر رضا: **معجم المؤلفين**(د–ت)، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 2012/3.

الحافظ أبو سعيد السمعاني، وقرأ عليه ديوان شعره ورسائله، وذكره في ذيل مدينة السلام، وأثنى عليه، وأخذ الناس عنه علمًا وأدبًا كثيرًا "[1]، ويبدو أن حيص بيص كان مثقفًا بثقافة عصره؛ فقد غلبت عليه الثقافة العربية الخالصة.

كان أبو الفوارس يحضر مجالس العلماء، ويتعلّم الفقه الشافعي، ويسمع الحديث، وأصبح فيما بعد يناظر في مجالس الخلاف، ومسائل الأدب، وكان يأخذ برأي الجمهور[2].

نظرة في شعره

تفنّن حيص بيص في موضوعات الشعر المختلفة، منها ما قاله في الاعتذار عن كتمان علمه:

عجبوا لعلمي كيفَ أكتمُهُ والشعرُ عني سائرٌ يسري
فأجبتُهم لم أخفهِ عبثًا لكن لمعنى غامضِ السرِّ
أجممتُ علمَ الدينِ عن طلبِ الدنيا حذاري تضاعفُ الوزرِ
ورأيتُها خُدعًا مزخرفةً فطلبتُها بزخارفِ الشعرِ[3]

ولا شك أنّ الشاعر كان متمكنًا من ثقافة عصره تمكنًا تامًا، مما جعله يستخدم ذخيرته اللغوية، وثقافته الواسعة في نظم الشعر.

مدح أبو الفوارس الخلفاء والأمراء الأكابر، وتقدم عندهم على شعراء عصره، وله ديوان شعر، ولقب بملك الشعراء[4]، وقد طرق أبواب الشعر المعروفة كلّها، من حماسة، وفخر، ومدح، ورثاء، وعتاب، وهجاء، ووصف، وغزل، وخمريات، وحكمة، وإخوانيات، وزهد، وتصوف، وقد ذهب الجانب الأعظم من مدائح حيص بيص إلى الأمراء العرب ممن بقوا على

---

[1] الحموي، ياقوت: **معجم الأدباء**، 368/3.

[2] ينظر: الصابوني، محمد بن علي الحموي: **تكملة إكمال الإكمال**، تحقيق: مصطفى جواد، نشر:المجمع العلمي العراقي، 1957، 372.

[3] حيص بيص، **الديوان**، 62/3.

[4] ينظر: الصابوني: **تكملة إكمال الإكمال**، 372.

إماراتهم العربية في ظل السيطرة السلجوقية، وكان أكثرهم ذكرًا عند الشاعر الأمير دبّيس بن صدقة، وولده صدقة بن دبّيس، "كما امتد الركن الأعظم على الإطلاق من المدائح إلى الوزيرين العربييْن للخلافة الإسلامية في بغداد، وهما: الوزير علي بن طراد الزينبي، والوزير أبو جعفر بن البلدي، حيث أظهر حبًا شديدًا وتفانيًا في مدحهما بأكرم الخصال وأعظمها"[1].

ولعلّ قارئ ديوان الشاعر يرى أنّه حاول تقليد الشعراء الكبار، فيجد أن شعره يشبه شعر أولئك الشعراء الذين عاشوا في الجاهليّة أو في صدر الإسلام، وكان الفرزدق من أكثر الشعراء الذين تأثّر بهم، فقلّده في نظمه أيّما تقليد.

كان للفنون النثريّة نصيب في كتابات حيص بيص، حيث كتب رسائل فصيحة بليغة جيّدة الوصف تامّة المعاني، رواها العماد الأصبهاني في خريدته، وياقوت الحموي في معجم الأدباء[2].

كانت وفاة الشاعر حيص بيص ليلة الأربعاء، في السادس من شعبان سنة أربع وسبعين وخمسمائة في بغداد، ودفن بالجانب الغربي في مقابر قريش[3].

---

[1] الصياد: أيمن السيد: **بناء القصيدة في شعر حيص بيص** (دراسة في المضامين وآليات النص)، ص 23 0

[2] ينظر: الأصبهاني، **خريدة القصر وجريدة العصر**_ القسم العراقي، 202/1. ينظر: الحموي: **معجم الأدباء**، 370/3.

[3] ينظر، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، 365/2، والذهبي: **سير أعلام النبلاء**، 62/21، والحموي: **معجم الأدباء**، 369/3.

الفصل الأول

الموروث الديني
في شعر أبي الفوارس (حَيص بَيص)

المبحث الأول: توظيف الجملة القرآنيّة

المبحث الثاني: توظيف المعنى القرآني

المبحث الثالث: توظيف الشّخصيّات القرآنيّة

الفصل الأول

الموروث الديني في شعر أبي الفوارس (حَيْص بَيْص)

توطئـــة

لكلّ أمّة تراثها الذي تعتزّ به، فهو هويتها للتي تضرب بجذورها عبر أعماق التّـــاريخ، وهو سلوك يرثه الفرد عبر الأجداد، وهو نمط تفكيره الذي يعكسه للأجيال اللّاحقـــة، فـــالتّراث يمتلك رؤيا خاصّة تكشف عن شبكة العلاقات التي تتوافر في حضارة أمّة ما تتلخّص عنـــدها تجربتها الإنسانيّة، فهي العادات والتقاليد، والأعراف، والفنون والأخلاق التـــي يشـــترك فيهـــا أبناؤها.

والموروث بصيغة مفعول من الفعل ورِث، يقول ابـــن الأعرابـــي: الـــورِثْ والـــوَرَث والإرث، والوِراث، والتّراث واحد"، وقال الجوهري:" الميراث أصله موْراث، انقلبت الواو يـــاء لكسر ما قبلها، والتّراث أصل التّاء فيه واو، وقيل الميراث في المـــال، والإرث فـــي الحســـب، والتراث ما يخلفه الرجل لورثته. وأورثه الشيء: أعقبه إياه[1].

وإذا كان المعنى اللّغوي ينحصر في الدّلالة الماديّة للتّـــراث، فـــإنّ المعجـــم الشّـــعبي الفلكلوري يتّسع لما هو أبعد من ذلك، فالتراث يُطلق بالمعنى الواسع على "نتاج الحضارة فـــي جميع ميادين النشاط الإنساني، من علم، وفكر، وأدب، وفن، ومأثورات شـــعبيّة، واجتماعيّـــة، واقتصاديّة"[2].

ويُعرّف التراث بأنّه الثّقافة أو العناصر الثّقافيّة التي يتلقّاها جيل عـــن جيـــل[3]، وذهـــب بعضهم إلى ما هو أبعد من ذلك، فالتّراث يشمل العقيدة، والشّريعة، والعقـــل، واللّغـــة، والأدب، والذّهنيّة، والتّطلّعات، والحنين"[4].

---

[1] ابن منظور، أبو لفضل جمال الدين: **لسان العرب**، مادة (ورث)، دار الحديث، القاهرة، 2003،(د،ط).

[2] أحمد، محمد عبد القادر: **دراسات في التراث العربي**، ط1،مكتبة الانجلو المصرية،1979، ص5.

[3] العنتيل، فوزي: **الفلوكلور ما هو؟ (دراسات ي التراث الشعبي)**، ط2، دار المسيرة، القاهرة، 1987، ص35.

[4] الجابري، محمد عابد: **التّراث والحداثة**.ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، 1991، ص24 .

فالتّراث لا ينفصل عن الأمّة؛ لأنّه جزءٌ من كينونتها؛ لذا يبقى متنقّلًا ومستمرًّا معها، ليعبّرعن روح العصر، ويؤثّر في تكوين الأجيال.

لقد أصبحت قضيّة توظيف الموروث ظاهرة بارزة في الشعر العربي: قديمه وحديثه؛ وذلك لما له من أهميّة في الكشف عن ماضي الأمّة، والاعتزاز به، إضافة إلى أنّها وسيلة إبداع يختصّ بها الشعراء، ليعبّر كل واحد منهم عن قضيّة ما بتقنيّته الخاصّة.

ويرى الدكتور صلاح فضل أنّ " توظيف النصوص الدينيّة القرآنيّة خاصّة في الشعر، يعدّ من أنجح الأساليب الفنية؛ وذلك لأنّ هذه النصوص تلتقي مع طبيعة الشعر نفسه، والنصوص الدينيّة ينزع الذّهن البشري لحفظها وتذكّرها، وفي كل الأزمنة لا تكاد تخلو ذاكرة الإنسان من هذه النصوص، بل تحرص دائما على الاحتفاظ بها"[1].

توظيف الموروث الدّيني في شعر حيص بيص

يُعدّ الموروث الديني المصدر الأساسي في شعر أبي الفوارس، فقد كان منهجًا راسخًا عنده؛ لاعتقاده أنّ الاستلهام الدّيني له بالغ الأثر في الارتقاء بشعره، وعلى الرّغم من استدعاء الشاعر لمناسبات دينيّة، وشخصيّاتها، إلّا إنه جعل القرآن الكريم رافدًا رئيسًا، وذلك باستدعاء ألفاظه ومعانيه وقصصه، وذلك بما يتناسب مع الموقف الذي يعبّر عنه، فهو يستقي بعض الألفاظ نصًّا وحرفاً، وبعضها بجزء منها، أو بمعناها.

[1] فضل، صلاح: **إنتاج الدلالة، قراءة في الشعر والقصص والمسرح**، هيئة قصور الثقافة، 1993 ، ص 72.

المبحث الأول

توظيف الجملة القرآنيّة

إنّ المتتبّع لشعر أبي الفوارس يرى أنّه يوظّف الجملة القرآنية، أو التركيب القرآني بدلالة واحدة تارةً، وبدلالات مختلفة غالبًا، ومنها **(أصحاب الأخدود)** ، ففي مديحه وزير السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقي[1]، فيقول:

فسُخْطهُ ورضاهُ حين تخبِرُهُ ماءٌ قراحٌ ونارٌ ذاتُ أخدودِ[2]

فلم يجد الشاعر أجمل صورة للتعبير عن الهدوء والصّفاء إلاّ الماء القراح، وعن سخطه واحتراقه إثر سماعه أمرًا مزعجًا إلا ذات الأخدود، وهي صورة مؤلمة بشعة استدعاها الشاعر من قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤﴾[3]، فحال أصحاب الأخدود مؤلم، وإن اختلفت الروايات حولهم، ويُقال أنّ "جماعة من أهل الكتاب آمنوا بربّهم، ورفضوا الخنوع للملك الظالم، فأمر بأخاديد في أفواه السّكك، وأوقدت فيها النار، فمن لم يرجع منهم عن دينه طرحه فيها"[4].

يقتبس الشاعر المفردة **(أضغاث)** ليضيفها إلى الظنون، فحين تعرّض قبر الوزير نوشروان[5] للنّبش، ولم يُنكر النقيب مجد الدين هذا الفعل الشّنيع؛ لوجود خلاف بينه وبين الوزير جلال الدين بن نوشروان الذي تولّى الوزارة نيابة عن أبيه، هبّ الشاعر لمعاتبة النقيب، محاولًا الصلح بينه وبين جلال الدين الوزير، قائلًا[6]:

أيُنسفُ قبرٌ ضمّ مجدَ ابنِ خالدٍ وأضمرَ عِزًّا من عُلاً ومناقِبِ

---

[1] هو أبو الحارث سنجر بن ملكشاه السلجوقي، ولد في سنجار قرب الموصل، تولّى السلطنة بعد وفاة أخيه محمد، وقد خاض حروبًا كثيرة في العراق وخراسان. يُنظر: ابن الأثير: **الكامل في التاريخ** 9/8، 513/9.

[2] حيص بيص: **الديوان**، 241/1.

[3] سورة البروج، الآية 4.

[4] الزمخشري، جار الله أبي القاسم، محمود بن عمر، (467 – 538 هـ): **تفسير الكشّاف**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1، 1998، 347/6.

[5] هو نوشروان بن خالد بن محمد القاشاني، الوزير أبو نصر، وزر للسلطان محمود وللخليفة المسترشد بالله، وهو الذي ألزم الحريري بتكميل المقامات، توفي سنة 532هـ. ابن كثير: **البداية والنهاية**، 214/12.

[6] حيص بيص: **الديوان**، 3/ 52 – 53.

تق اللهَ واجمع مـــا صـــدعت ولا تُطـــع من الـــرأي أضـــغاثَ الظنـــون الكـــواذبِ

فمـــــا زالَ ودّي ســـــالماً ونَصـــــيحتي لعلياك صـــفوًا مـــن قـــذىً [وشـــوائبِ]

وتُحيل كلمة أضغاث القارئ إلى سورة يوسف –عليه السلام– ردًّا على الملك حين طلب من الملأ تفسير رؤياه، ولكنهم ردّوا عليه بأن هذه الرؤيا ما هي إلا أحلام كاذبة باطلـــة، يقـــول تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[1]، فالشاعر يدعو الممدوح إلى عـــدم الإذعان إلى الأكاذيب، والأقاويل الباطلة، وكأنّ ما قيل في نبش قبر الوزير مشابه لما قيل فـــي وصف الحدث المظنون الذي رآه الملك في منامه، فالملأ لم يذعنوا للملك لتفسير الرؤيا، وكذلك الممدوح لم يذعن لما قيل من آراء، وتبريرات، وتحليلات حول نبش قبر الميّت.

ولكنّ الشاعر حوّر في بنية الآية القرآنية (أضغاث أحلام) ليؤكد المعنى الذي يريـــده، وهو (أضغاث الظنون)؛ وهو بذلك يجعل الأضغاث مضافة إلى الظنون وليس إلى الأحلام؛ لأن كلمة الظنون توحي بالافتراء أكثر من الأحلام، وهي البؤرة الدلالية التي يريدها الشاعر وتنسجم مع ما يريد.

حين يصف الشاعر وزيره العادل شرف الدين جلال الإسلام الملقّب بابن البلدي بالرجل المسالم الهادئ على الّرغم من شدّته[2]، يستحضر التركيب القرآني **(بردًا وسلامًا)**، فقال:

نـــــارُ بـــــأسٍ فـــــإذا مـــــا ســـــالمْتهُ عـــــادَ ذاكَ الوقْـــــدُ بـــــردًا وســـــلامًا[3]

فقد تقلّد الممدوح منصب وزير أمير المؤمنين، فمدحه الشاعر، وأثنى عليه في كثير من القصائد، فالممدوح إذا غضب، كان غضبه نارًا وحربًا، ولكنّ هدوءه طمأنينة وســـكينة، وهـــي مناجاة استلهمها الشاعر من قوله الله تعالى حينما أُلقي النبيّ إبراهيم –عليه السلام– في حفـــرة عميقة مشتعلة بالنّار: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾[4].

---

[1] سورة يوسف، الآية 44.

[2] هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سعيد، المعروف بابن البلدي، من أشد الرجال سعدًا ودهاءً ونبلًا، ولمّا توفي المســـتنجد طلبوه للعزاء، ولأخذ بيعة المستضيء، فلمّا دخل، أُدخل بيتًا، وقتل، وقُطّع ورُمي في دجلة، وقتل في ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة. الذّهبي: **سير أعلام النّبلاء**، 587/20.

[3] حيص بيص: **الديوان**، 68/2.

[4] سورة الأنبياء: الآية 69.

إنّ طمأنينة النبيّ إبراهيم –عليه السلام– بأن جعل الله النّار سلامًا وطمأنينة تحاكيها طمأنينة الناس للوزير عند صفائه وهدوئه، أمّا غضبه فنارٌ لا تُطاق، كالنار التي أعدّها قوم النّبيّ إبراهيم –عليه السلام، وهذه مقارنة بين الصّورتين –بلا شك– توحي بالمبالغة.

ومن التراكيب القرآنيّة (**تُبلى السّرائر**)،حيث يوظّفها الشاعر في موقف تهنئة الخليفة المستضيء بالله، وذلك بمناسبة ختان ولده، وذلك تعبيرًا عن حبه له، وفرصة يصب الشاعر فيها مديحه للخليفة، فيقول:

إمـــامٌ يخـــافُ اللهَ فـــي خَلواتِـــهِ ويســـعى ليـــومٍ تُبلـــى فيـــه السَّـــرائرُ
ويـــرحمُ حتّـــى يشـــمل العفـــوُ فـــاحشَ الـــذّنوبِ ومـــن قـــد أبْســـلتهُ الجرائـــرُ
يُقرُّ له باللّطفِ والبـــأسِ رِقـــةُ النّســـيمِ وأطـــــــرافُ القَنـــــا والبـــــواترُ[1]

ويبدو النص القرآني ظاهرًا في الخطاب الشعري، في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾[2]، فيوم تُبلى السرائر هو يوم الحساب، وهو اليوم العصيب الذي يحصد فيه الإنسان نتائج عمله، ويوم الاختبار حيث يظهر المستور، وينكشف المخفي، ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾[3].

فالشاعر يلامس الوازع الدّيني في خطاب الممدوح؛ ليصفه بالإنسان المؤمن، فهو يتسلّح بالتقوى استعدادًا ليوم الحساب، وهو اليوم العظيم الذي تُبلى فيه السرائر، وليس فيه للإنسان ناصر سوى عمله، واليوم الذي تتكشف فيه الدواخل.

و(**التّسنيم**) كلمة رقيقة الأصوات، برقّة عين الماء العذب التي سُمّيت بها، أسندها الشاعر إلى الوزير العادل شرف الدين أبي جعفر بن البلدي، في قوله:

قـــالوا أبـــو جعفـــرٍ وردٌ لـــذي ظمـــأٍ فقلـــت مـــا كـــلُّ عـــينِ المـــاءِ تسْـــنيمُ[4]

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 323/3.
[2] سورة الطارق، الآية 8 – 10.
[3] سورة العاديات، الآية 9، 10.
[4] حيص بيص: **الديوان** 230/3.

فكلمة تسنيم بجمالها الصوتي المرقّق، وجمالها الدّلالي يستحضرها من قوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨﴾ [1]

فالشاعر يضمّن كلمة تسنيم في قصيدته؛ ليعلي شأن الممدوح، فكلّ من يرِد مجلسه يناله من الخير العظيم، وكأنّه بمنزلة التسنيم "علم لعين بعينها، سميّت بالتّسنيم الذي هو مصدر سنمه إذا رفعه، إمّا لأنّها أرفع شراب في الجنّة، وإمّا لأنّها تأتيهم من فوق، وهي للمقرّبين يشربونها صرفًا، وتمزج لسائر أهل الجنّة"[2].

ويوظّف الشاعر التركيب القرآني **(الرّيح الصرصر)**، تركيب يوحي بالقوّة والشدّة، حيث يظنّ القارئ للوهلة الأولى معركة تشتدّ فيها العواصف، ولكنّ الشاعر يقف في مجالس السلاطين يتغنى بأمجادهم، ويرسي بشعره دعائمهم، فقال مادحًا أبا الفتح المظفّر بن حماد بن أبي المظفّر[3]:

المظفّر[3]:

يتقارعونَ على الضّيوفِ إذا الدجى سدّت مطالعه بريحٍ صرصرِ[4]

ففي هذا البيت يفخر بقبيلة الممدوح، فهؤلاء يتصارعون لخدمة الضيف، وتراهم يتهافتون إذا سُدّت على الضيف المنافذ مهما كانت الظروف، ومهما ضاقت عليهم الأحوال، حتى لو كانت ريحًا صرصرًا عاتية، وهذه الريح يستحضرها الشاعر من سورة الحاقّة حينما وصف الله تعالى عذاب قوم عاد: ﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ٦﴾[5]، فهي ريح شديدة عاتية، أحاطت بعاد فما قدروا على ردّها، حيث كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم[6].

وقد أراد الشاعر أن يرسم صورة أسطوريّة لقوم الممدوح في إنقاذهم الملهوف، فالرّياح العاتية لا تردّها قوّة لشدّتها، أمّا هؤلاء القوم فيفعلون المستحيل في كل الظروف.

---

[1] سورة المطففين، الآية 27، 28.

[2] يُنظر: الزمخشري: **تفسير الكشّاف**، 339/6.

[3] ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، 551/9.

[4] حيص بيص: **الديوان**، 221/1.

[5] سورة الحاقة، الآية 6.

[6] ينظر: **تفسير الكشاف**، 195/6.

وفي التركيب القرآني(**سراب قيعة**) يخطّ الشاعر آلامه وأحزانه شعرًا، ويبثها إلى عز الدّين أبي النصر، وزير السلطان مسعود[1] ويستنجد به للسّفر مع المسترشد بالله:

وحالتي مغبرّةٌ شنيعةٌ بين أناسٍ كَسرابِ قيعهْ[2]

يقارن الشاعر بين أعمال الكافرين التي تنفع الناس في الدنيا والسراب، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً ﴾[3]، فأعمال الكافرين لا قيمة لها في الميزان عند الله، كحال السراب الذي يظنّه النّاظر ماءً، وحين يقترب منه يكتشف أنه وهم.

لقد حوّل الشّاعر التشبيه من دائرة أعمال الكافرين الضّالة، إلى طبيعة النّاس الذين لا قيمة لهم في الموقف الصّعب، فهو في اللحظات الصعبة لم يجد أناسًا يتكئ عليهم بعد معرفة حقيقتهم الفاسدة.

وحين يشيد الشاعر بممدوحيه فإنّه ينتقي أجمل تعبير، ويحوّرها في نصّه الشعري وفق بلاغته، وذوقه الفنّي، ففي مديحه شرف الدين علي بن طراد الزينبي[4]، يوظّف التعبير (**غرابيبهنّ**)؛ وذلك ليصف كرم الممدوح الأصيل، وجوده ولو في الليالي الحالكة، فقال:

من المُطعمينَ ضيوفَ الشِّتاءِ بسودِ اللّيالي غرابيبُهنَّ[5]

وكلمة غرابيب يستحضرها الشاعر من قوله تعالى:﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ٢٧﴾[6]، فقد ذكر الله تعالى نعمه على الإنسان، فمنها ما هو ظاهر

---

[1] هو السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي، الملقب بغياث الدين تولى السلطة سنة 527 ، ولما توفي أخوه تنازع مع أخيه محمود على الحكم. يُنظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977، 5/200-202

[2] حيص بيص: **الديوان**، 55/3.

[3] سورة النور، الآية 39.

[4] الزينبي هو: أبو القاسم نقيب النّقباء أيام المستظهر، ووزير المسترشد، توفي في رمضان عن عمر ست وسبعين سنة، يُنظر: ابن كثير: **البداية والنهاية**، 219/12.

[5] حيص بيص: **الديوان**، 201/2.

[6] سورة فاطر، الآية 27.

بألوانه المختلفة، كالثمار ومنها غير ذلك كالجبال السود الطوال، وسميت غرابيب لشدّة سوادها، ومنها الغراب لسواده[1].

وللعربِ عاداتٌ تسابقوا إليها، وتغنّوا بها، في قصائدهم جنبًا إلى جنب مع البطولة والفروسيّة، ومنها إكرام الضيف، وإغاثة الملهوف، وقد وصل بهم الأمر إلى إقامة خيامهم في المناطق العالية، وإشعال النار أمام خيامهم؛ ليهتدي بها من انقطعت به السبل، أو طارق ليل تاه في اللّيالي الحالكة.

والجامع بين الليالي عند الشاعر والجبال في الآية الكريمة شدّة السواد، فالليالي الحالكة يصعب اقتحامها، ولكن الممدوح في مثل هذه الشدّة يقتحمها ليغيث الملهوف، ويُطعم الجائع.

وأشاد الشاعر في غرض التهنئة بشرف الدين علي بن طراد الزينبي بمناسبة العيد، حيث امتدحه بأنّه من أصحاب **(الصالحات البواقيا)** التي عرفها النّاس عنه، وفي ذلك قال:

لـــيَهْنَ علـــيَّ الخيـــرِ أنّـــي جزيتُـــه بنُعْمـــى يديـــهِ الصَّـــالحاتِ البَواقيـــا[2]

فتركيب (الصّالحات البواقيا)، يُذكّر القارئ بالنّص القرآني في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦﴾[3]. فهذه الباقيات من الصالحات مخلّدة لكل مؤمن ليوم الحساب، وقصائد الشاعر تجملت بأعمال الممدوح، ولم تكن لتخلّد لولا هذا العمل الطيّب، فهي كأعمال المؤمنين الصّالحة التي تحدّث عنها القرآن الكريم.

ولعلّ الجمال الشعري الذي يرسمه أبو الفوارس لممدوحيه يضاهي **(العبقريّ الحسان)** ؛ ممّا جعلهم يستعينون به حين صنعوا سفرةً من خرقة كثيرة النقوش، وأرادوا تجميلها بالشعر؛ لتكون هديةً تناسب الخليفة، ما جعله يقول في المديح:

نســـجتها كـــالرّوضِ غِـــبَّ الحيـــا ديباجـــةً مُخمّلـــةً ذات شـــانْ

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**. مادة غرب، ص 648.

[2] حيص بيص: **الديوان**، 165/2.

[3] سورة الكهف، الآية 46.

فأصـــــبَحتْ إذ سَـــــكَنتْ أرضــــكمْ معـــــدودةً فـــي العبقـــريِّ الحســـــانْ
ومـــن غَـــدا الهـــادي فـــلا تعجبـــوا تبديلـــــهُ الأرض نعـــــيمَ الجِنـــــانْ[1]

فقد شبّه الشاعر جمال السفرة المنقوشة بالروض المنتعش حين ينزل المطر، هذا الدّيباج الجميل الذي صنعته أيدٍ ماهرةٌ، وإذا ما وُضعت في أرض الخليفة ستكون أفخر ممّا كانت، وهنا يفطن الشاعر لقوله تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ٧٦ ﴾[2]، فقد خاطبهم الله تعـــالى بما تعارفوا عليه، فالرفرف هي الوسائد التي يتّكئ عليها المؤمنون، والعبقري ضرب من البُسط فيها الأصباغ والنقوش، وقيل العبقري منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنّه بلد الجن، فينسبون له كلّ شيء عجيب[3].

ويستمر أبو الفوارس في استلهام النّص القرآني، فيوظف التّعبير (**قضى وطرًا**)، ولكن هذه المرّة للتعبير عن حزنه، ورثائه الرّاحلين عن الدنيا، فحين رثى الكبار أشـــاد بمحاســـنهم، وأسف على فراقهم، فالمرثيّ المؤتمن بن جعفر قضى وطره، وكان قد أقام في المدينة، وقضى ما عليه من واجبه الدّيني، ومات فيها، وما عادت على عاتقه أيّة مسؤوليّة، أو واجب تجاه دينه ودنياه، ففي ذلك قال:

قضَـــى وطَـــرًا مـــن الـــدّنيا بريئًـــا مـــن التّبعـــاتِ فـــي يـــوم الرُّجـــوعِ[4]

فالشاعر يلتقي في البيت السابق (قضى وطرًا) مع النّص القرآني فـــي قولـــه تعـــالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧﴾[5]؛ أي فلمّا قضى زيد حاجته من نكاحها وطلّقها زوّجنـــاك إياهـــا يـــا محمد"[6].

[1] حيص بيص: **الديوان**، 95/2.
[2] سورة الرحمن، الآية 76.
[3] يُنظر: الزمخشري: **تفسير الكشّاف**، 19/6، والزبيدي: محمد مرتضى الحسيني: **تـــاج العـــروس**، تحقيـــق: مصـــطفى حجازي، مطبعة الكويت، وزارة الإعلام، 1973، 514/12.
[4] حيص بيص: **الديوان**، 2/ 93.
[5] سورة الأحزاب: الآية 37.
[6] الصابوني، الشيخ محمد علي: **صفوة التفاسير**، ط9، دار الصابوني للنشر والتوزيع، 531/2.

ويعكس هذا التّفاعل مع النّص القرآني مدى اتّساع أفق الشاعر، فالمرثي قضى ما عليه من الدنيا، فطلّقها إلى الأبد، كحال الصّحابي الجليل زيد بن حارثة حين طلّق زوجته زينب بنت جحش –رضي الله عنها– وما عادت نفسه تهفو إليها؛ لأنّ النبيّ –عليه السلام– تزوّجها بعد انقضاء عدّتها.

والشاعر أراد أن يبيّن مدى عفّة المؤتمن بن جعفر، فقد أدّى ما عليه بأمانة كما أدّى الصحابي الجليل زيد بن حارثة أمانته تجاه نبيّه محمد – صلى الله عليه وسلم –.

وفي موضع آخر يوظّف الشاعر التعبير القرآني **(النّشأة الأخرى)**، وذلك في مدحه الوزير الزينبي حينما أعاده المسترشد بالله إلى الوزارة بعد خلاف شديد بينهما، فقال مهنّئًا الوزير:

فضلُ الوزيرِ الزّينبيّ بجودهِ ذاكَ النّدى حقًّا بغيرِ توسّعِ
فالنّشأةُ الأخرى لها أبدت لنا كُفْرَ الكَفورِ وسوءَ رأيِ المُبدعِ
وكأنّها وبِساطَها وحُليِّها للمُستبينِ أخي الفُؤادِ الأصْمَعِ[1]

فبعد عودة الزينبي إلى الوزارة انكشفت الحقائق لكلّ ذكيّ مستبين، وانكشف المنافقون والمتآمرون، وأُنصف المظلومون، فقد عدّها الشاعر كالنّشأة الأخرى، ليصل إلى مشهد يوم البعث، يقول تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾[2].

ولعلّ الشّاعر يقارن بين المشهدين، فمشهد انكشاف المنافقين ومحاسبتهم على جرمهم، وما خطّطوا له ضد الأشراف، مقابل ذلك إنصاف المظلومين، وإحقاق الحق لهم، وكأنّه بعث جديد لحياة جديدة.

وللاسم حظٌّ في شعر حيص بيص، فهو ينتقي اسم **(نهر الكوثر)**، ليتوافق مع اسم الممدوح أبي جعفر أحمد بن محمد بن البلدي، يقول:

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 285/1، 289.

[2] سورة النّجم، الآية 47.

جــادَ السَّــحابُ وجــدْتُ لكــن قــدَّرتْ   أوقاتــهُ ونــــداكَ غــــيرُ مُقــدــــَّرِ
وظَللــتَ تمطــرُ وهــو يُمطــرُ تــارةً   مــا مــاطرٌ يُحيـــي الــبلادَ كمُمْطــرِ
إنْ كــان معنـــى جَعْفَــرٍ نهــرًا بــه   تروى العُطــاش فأنــت نهــرُ الكــوثرِ[1]

ففي الاسم (جعفر) خير وعطاء، ويعني: النّهر الملآن[2]، فإذا كان اسـمه كـذلك فـإنّ شخصيّته تدلّ على الخير الوافر المبارك، أي الكوثر، وهو نهر في الجنّة كما أخبر الرسول عليه السلام عندما قال لهم: أتدرون ما الكوثر؟ إنّه نهر في الجنّة وعدنيه ربّي فيـه خيـرٌ كثيـر"[3]، والكوثر اسم ورد في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾[4]

ويستدعي الشاعر اسم (**سورة الفتح**) ليظهر مدى حبّه الكبير للسّلطان مسـعود حـين تعافى من مرضٍ ألمَّ به، وقد أرسل له الهدايا الثّمينة من الغنم والثّمر، وعلّق هذه الأبيـات فـي عنق بقرة، قال فيها:

فتــىً صــحّةُ الــدّنيا بصــحّةِ نفســه   وقــولي هــذا فــي الدّلالــة كالصّــبحِ
كريم السّــجايا يحســد المــا[ء] لطفــه   بــريءٌ مــن الكِبْــرِ المُــذمَّمِ والشُّــحِ
إذا ما اســتقادَ العاديــات إلــى الــوغى   تَلــونَ بتصــهالٍ لــه ســورة الفــتحِ
فــإنْ يــكُ قربــاني قليــلًا فــإنّني   كثيــرُ الــدّعا[ءِ] والمحبَّــةِ والمــدْحِ[5]

يصف الشاعر ممدوحه بالكرم، وهو بريءٌ من الشّح، وهذه القرابين التي قدّمها له تبقى قليلة لقاء جوده وسخائه، ولا يملك إلّا الدّعاء له بالعافية، ويستحضر الشاعر اسم سورة من سور القرآن الكريم، وهي سورة الفتح؛ لما لها من فضل عظيم، ووعد بفتح مكّة، "ففي تلـك السّـنة

[1] حيص بيص: **الديوان**،118.

[2] اسم جعفر له معانٍ عدّة، منها: النهر عامة، والنهر الصغير فوق الجدول، والنهر الملآن، وقيل النهر الواسع. يُنظر: ابن منظور: **لسان العرب**، مادة: (جعفر)، 158/3.

[3] مسلم، بن الحجاج بن القشيري: **صحيح مسلم**، ط 2، دار السلام للنشر والتوزيع، 2000، معجم 14، باب الصـلاة، ح 53، ص 170.

[4] سورة الكوثر، الآية 1.

[5] حيص بيص: **الديوان**، 332/1. ويقول المحقق في حاشية الديوان: إن الهمزة ساقطة من الأصل، ساقطة في كلمة الماء وبإعادتها يستقيم الوزن، وأُبقيت الهمزة بين قوسين معقوفين كما وردت في الديوان من أجل الأمانة العلمية في النقل.

ظهور عظيم على المشركين حتّى سألوا الصّلح، وكان سببًا لفتح مكّة، وفرغ بهـــا رســـول الله صلّى الله عليه وسلّم لسائر العرب، فغزاهم، وفتح مواضع، وأدخل في الإسلام خلقًا عظيمًا"[1].

فقد أراد الشاعر أن يكشف عن عظمة هذا السلطان الذي حقّق للأمّـــة الخيـــر العمـــيم، وقادها إلى الانتصارات والفتوحات التي لا تقلّ شأنًا عن فتح مكّة.

[1] البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ص407/2.

المبحث الثاني

توظيف المعنى القرآني

يجد الدّارس من خلال تتبُّع شعر أبي الفوارس حشدًا كبيرًا من المعاني القرآنية التي ضمّنها شعره، وأغلبها في المديح، وذلك للتأثير في نفس ممدوحيه.

ويستفيض الشاعر في مدح الوزير شرف الدين محمد بن البلدي مستلهمًا معنًى قرآنيًا معبرًا عن مقاصده، فقال:

ضاقت بلاغةُ أشعاري بما رحُبتْ عن كنهِ وصفك حتى ذا لكنِ[1]

فهذا بيت مفعم بالدلالة سرعان ما يوصل إلى الذهن قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾[2]

ولعلّ ضيق بلاغة الشاعر عن الوصول إلى مكارم الوزير تشاكل الضيق الذي لفّ هؤلاء الثلاثة المتخلفين عن الحرب، فاستدعاء هذا المشهد جعل النّص ينبض بالروح الدينيّة، والتأثير البلاغي، على الرغم من عجزه عن التّعبير كما قال.

وفي مدح الوزير علي بن طراد الزينبي، ينقلنا الشاعر إلى تناص ديني آخر، فقال:

فتىً لا يُتبع المعروف منًّا ولكنْ يسُلِف المعروف عُذرا[3]

فالممدوح كريم، وصاحب معروف، ولا يُتبع عطاءه أذى، ولا يمُن على أحد؛ وذلك التزامًا بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾[4]، فالشاعر يريد أن يرفع من شأن الممدوح، فلا يكتفي ببلاغة كلماته، وإنّما يضمِّن أبياته معاني القرآن الكريم، فيحيل القارئ إلى النص القرآني.

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 6/1.

[2] سورة التوبة، الآية 118.

[3] حيص بيص: **الديوان**، 196/2.

[4] سورة البقرة، الآية 264.

وينتقل الشاعر إلى معنىً قرآني آخر، وهو القضاء والقدر، وذلك في رثائه شرف الدين ابن طراد الزينبي، فالموت حقٌ محتوم، لا يتقدّم ولا يتأخر:

ولكـــــن قضـــــاءَ اللهِ لا مُتـــــأخَّرٌ إذا مـــا جـــرى عنـــهُ ولا مُتَقـــدِّمُ[1]

وفي المعنى نفسه كتب الشاعر إلى جمال الدين محمد بن نوشروان، وهو نائب أبيه في وزارة السلطان:

خفِّضـــــا لا مـــــوتَ إلا بأجـــــلْ واحـــذراني سَـــبقَ الســـيفُ العـــذلْ[2]

فالقضاء محتوم لا يدفعه شيء، وهو قضية راسخة استلهمها الشاعر من قولـــه تعـــالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾[3]

وكان للزينبي نصيبٌ وافر في أشعار حيص بيص، فقد مدحه في مواقع كثيرة، وبالغ في مدحه إلى الحدَّ الذي وصفه بالماء الحي في كرمه ونبله:

كمِـــــثل المـــــاءِ مَحْيـــا كـــلِّ شـــيءٍ ومـــوْرده رخـــيصٌ غـــيرُ غـــالِ[4]

إنّ هذا المعنى استدعاه الشاعر من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[5]، ففـــي الماء حياة وانتعاش، والحياة بين الناس يوجدها الوزير الممدوح، ولا شك أنّ في الأمر مبالغـــة، وإنّما قصد الشاعر، الانتعاش والحيوية الذي يعيشه الناس لكرم الممدوح وسخائه.

وفي مرثية أخرى للزينبي يُصبّر فيها نفسه على فقدانه، فقال:

وقالوا اصطبرْ فالصـــبرُ بـــالأجرِ كافـــلُ وصبري علـــى مـــا نـــابَ وزرٌ ومـــأثَمُ[6]

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 288/2.

[2] السابق، 166/2. وفي البيت توظيف تراثي سيتم الحديث عنه في موضعه.

[3] سورة الأعراف، الآية 34.

[4] حيص بيص: **الديوان**، 247/2.

[5] سورة الأنبياء، الآية 30.

[6] حيص بيص: **الديوان**، 2/ 283.

ولا شك أنّ اصطبار الشاعر على هذا البلاء، ودعوته إلى الصبر تأتي من وازع ديني حضّ عليه القرآن الكريم في كثير من الآيات؛ لأنّ منزلة هذه القيمة عظيمة، وقد ضمنها شعره مواسيًا نفسه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾[1]، فهذا وعد رباني لأهل البلاء، حيث يُؤتى بهم، فلا يُنصب لهم ميزان، ولا ينتشر لهم ديوان، ويُصب عليهم الأجر صبّا[2].

وفي قصيدة أخرى يمدح فيها الزينبي على إنجازاته وانتصاراته، ويدعوه إلى دوام شكر الله عز وجل، فقال:

أبى الله إلا ما تريدُ فكنْ لهُ شكورًا فنُعمى الله تبقى على الشّكرِ[3]

فدوام الشكر فيه دوام النّعم، ودوام الذّكر فيه دوام العطاء، وبالشكر يحفظ الله عبده المؤمن، وهذا المعنى يستحضره من قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾[4]؛ ولا شكّ أن الشكر يكون بالذكر الدّائم لله تعالى، والتقرّب إليه عزّ وجل بالطّاعات.[5]. [5]. يقول تعالى: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾.

وفي مرثيته لابن الخليفة المسترشد بالله[6] الذي مات بالجدري، يشيد الشاعر بصبر الخليفة، وعمق إيمانه، فقال:

ولترتيلِ كتابِ اللهِ في ظُلَمِ الليلِ إذا لم يتْلُ تالِ[7]

---

[1] سورة الزمر، الآية 10.

[2] يُنظر: **تفسير الكشاف**، 294/5.

[3] حيص بيص: **الديوان**، 141/2.

[4] سورة البقرة، الآية 152.

[5] سورة إبراهيم، الآية 7.

[6] هو أبو المنصور الفضل بن أبي العباس أحمد بن المستظهر بالله، وكان وليًّا للعهد، وكان شهمًا، فصيحًا بليغًا، ولمّا توفي والده بُويع بالخلافة، ودار بينه وبين السلطان مسعود قتال عنيف، وهجم عليه جماعة من الباطنية، فقتلوه،. يُنظر: ابن الأثير: **الكامل**، 174/9، 283

[7] حيص بيص: **الديوان**، 360/2.

فالخليفة كان ممّن يتلون القرآن بخشوع وتدبّر، وقد تأثّر الشاعر بالأمر الإلهي للنبي – عليه الصلاة والسلام– بقوله: ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾﴾[1]، فترتيل القرآن يعني قراءته على على ترسُّل، وإشباع الحركات؛ ممّا يجعل المستمع يتأثّر بالكلمات ويتدبّرها.

ولا شك أنّ الاتّصاف بالأخلاق الإسلاميّة الحميدة شرفٌ عظيمٌ للممدوح، يظلّ وسامًا يسجّله التّاريخ، ويمتدحه النّاس، وقد نال المسترشد بالله هذا الشّرف، فقال:

نامَ الرّعيّةُ والإمامُ مُسَهّدٌ جمُّ الرَّوِيَّة في صلاحِ المُهمَلِ
يتلوهُ من نصِّ الكتابِ المُنزَلِ في العدلِ والإحسانِ مُمتَثِلًا لمّا
في سِلْكِهِ كَصَبابَةِ المُتَغزِّلِ فمدائحي والمجدُ ينظُمُ دُرّها[2]

فالخليفةُ يسهر على راحة رعيّته، ويُصلح شأنها ما استطاع، ويحكمها بالعدل والإحسان، امتثالًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[3].

ومن المعاني القرآنّية التي يقتبسها الشاعر، ويدعو إلى الثّبات عليها، هي التمسّك بحبل الله ، وذلك في مدح الأمير نجم الدين حسن بن رومي، المعروف بحسن المضطرب[4]، فقال:

مستمسكٌ بحبالِ الله معتصمٌ لهُ المكارم حصْن والتُّقى جُنَنُ[5]

فيستدعي الشاعر صورة رائعة من القرآن الكريم، ليصف بها أخلاق ممدوحه، فالأمير يتحصّن بمكارم الأخلاق العالية، ويرتدي ثوب الإيمان والتقوى، بل هو حريص كل الحرص على تطبيق الإسلام وتعاليمه السّمحة، وهو القابض على دينه كمن يقبض على الحبل، ويشدّ عليه خوفًا من انفلاته، فهذه الصورة التي رسمها الشاعر مستمدّة من القرآن العظيم، وذلك في

---

[1] سورة المزمل، الآية 4.

[2] حيص بيص: **الديوان**، 304/3.

[3] سورة النّحل، الآية 90.

[4] هو الأمير نجم الدين حسن بن رومي، آل نصر بن قعين، من بني أسد، قُبِضَ عليه هو وأخوه ماضي سنة 542ه، وأمر الخليفة بصلبه على دقل زورق في دجلة، ينظر: الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن نفيس: **تاريخ دولة آل سلجوق**، شركة طبع الكتب العربية، مصر، 1900، ص 229.

[5] حيص بيص: **الديوان**، 43/3. معنى جُنَن: كل ما وقى من السلاح، ومفردها جُنّة، ينظر، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة جنن، 218/3 .

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[1]، صورة توحي بمدى تمسُّك المؤمن بدينه، والقبض على إيمانه بقوّة، كحال من يمسك الحبل ويشدّ عليه؛ خوفاً من الوقوع في المهالك.

[1] سورة آل عمران، الآية 103.

المبحث الثالث

توظيف الشّخصيّات القرآنيّة

لم يقتصر اهتمام حيص بيص بالمفردة والمعنى في القرآن الكريم، إنّما تأثّر بالقصّة التي جسّدت بأسلوبها المتميّز الصراع في الحياة، وهو صراع بين الحق والباطل، والخير والشّر، وهو صراع مهما طال أو قصر؛ ينتهي بانتصار قوى الخير، وما الشخصيّات القرآنية إلا تجسيد للمواقف البطوليّة، والمواقف العدائيّة.

والشخصيّات القرآنيّة كانت وما زالت ملهمة الشعراء والأدباء في العصور كلّها، فهي في تحديها، وصبرها انتصرت للقيم، وصارت مضرب الأمثال، وقدوة عظيمة لكل مؤمن جعل الإيمان صرحه، فتغنى الشعراء بهذه الشخصيّات، واستعاروا أسماءها في نصوصهم الشعريّة؛ ليتفاعلوا معها، ويربطوا أحداثها بالأحداث الجديدة، وفق رؤية معاصرة للشاعر.

والشاعر أبو الفوارس –كغيره– من الشعراء اتّكأ في مديحه الأمراء فنيًّا على الشخصيّات الدّينيّة، ورموزها، والدّوال المتعلّقة بها، فمنح النص بُعدًا دينيّا، وعمقًا في الدلالة، وقوّة في التّأثير، إضافة إلى جماله الفنّي.

وقد حفل ديوان حيص بيص بالقصص الدّينيّة، والأحداث المتعلّقة بها؛ ممّا يعكس شغف الشاعر بها، حيث اعتمد في شعره على تكرار بعض القصص في مناسبات مختلفة، ولعلّ الحديث عن هذه القصص وشخصياتها، ومدلولاتها يحتاج إلى شرح طويل ومفصّل؛ لذا سيقصر الحديث بإيجاز عن هذه القصص وشخصياتها.

وقد تتبّعت الدّراسة بعضًا من الشخصيّات القرآنيّة التي استدعاها أبو الفوارس في شعره، لتحضر في النص حضورًا مباشرًا، وهي شخصيّات بارزة في القرآن الكريم، وتقترن كلّ شخصيّة بحدثٍ، أو قصّة تحمل قيمةً عظيمة.

نوح عليه السّلام

استدعى كثير من الشعراء شخصيّة نوح –عليه السلام– للتعبير عن مواجهة جبهات الشر وأهوالها؛ فللشاعر رموزه الخاصّة التي تنطلق من تجربته ورؤياه، " فحين تصبح الفجيعة إحساسًا تاريخيًّا حادًّا، تتلوّن بتداعيات اللّغة، وتترك المكان فسيحًا للحلم، فيبني الشاعر خيالاته ورؤاه الخاصّة كيفما يريد، وبأدواته الخاصّة.

كانت وفاة شرف الدين الزينبي فاجعة عظيمة أصابت قلب الشاعر، فقال في مرثيته مُشيدًا بشجاعته، وهزيمة العدوّ أمامه:

وعبّ عُبابٌ هاشميّ فلم يكن له جبلٌ من مغرق الشرّ يعصم[1]

فأمواج الحرب متلاطمة، والعدوّ لم يجد مخرجًا أمام شجاعة شرف الدين الزينبي، ولم يكن أمام العدوّ جبلٌ ليعصمه من طوفان المعركة.

ولعلّ دالّ الطوفان والعاصم منه يحيل القارئ إلى قصّة نوح –عليه السلام– مع ابنه عندما خاطبه أبوه ليركب معه في السفينة: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾[2]

فسفينة نوح طوق النجاة للمؤمنين من الطوفان القاتل، وابن نوح يرفض الصعود إلى السّفينة، ويقرّر أنّه سيأوي إلى الجبل علّه يخلّصه من وحشيّة الطوفان الذي التهمه والتهم كل شيء، حتى أصبح المكان لا حياة فيه.

هذه هي الصورة المؤلمة للطوفان والجبل التي ألهمت الشاعر، فصورة المعركة الحامية الوطيس، حيث يبحث العدوّ عن النجاة، ولكن لا مخرج أمام الطوفان الهائج.

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 288/2.

[2] سورة هود، الآية: 42، 43.

"ذي القرنين"

شخصيّة ذي القرنين شخصيّة هندسيّة عجيبة حيّرت القدماء والمؤرّخين، فقد عُرف بإتقان فن البناء، وقد ذُكر في القرآن الكريم مرّة واحدة في سورة الكهف، وذلك حينما بنى سدًّا منيعًا يدفع به أذى يأجوج ومأجوج، ولم يكن الشاعر ليذكر شخصيّة ذي القرنين لولا قدرتها العظيمة وإتقانها؛ وذلك للمقارنة بين شخصيّة ممدوحه مجاهد الدين بهروز الغياثي والي العراق[1] العراق[1] وشخصيّة ذي القرنين، يقول:

فكلُّ مديحٍ قُلتُم دون قَدْره ولا مدحَ إلّا ما وفى بعُلا القدْرِ
ولو أنّ ذا القرنينِ أدركَ علمَهُ لأغناه من إضرام نارٍ ومن قِطرِ[2]

فالشاعر يشيد بهندسة مجاهد الدين بهروز وحكمته بشق النهروان، فلو أنّ ذا القرنين أدرك معرفة مجاهد الدين الهندسية، لسار عليها وطبّقها.

والقرآن الكريم أشاد بذي القرنين حين بنى سدًّا منيعًا ليحميَ القوم من فساد يأجوج ومأجوج، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾[3].

لقد جعل ذو القرنين سدّه منيعًا حين حفر الأساس حتى بلغ الماء، وجعل الأساس من الصخر والنّحاس المذاب، والبنيان من زُبر الحديد، بينهما الحطب والفحم، حتى إذا ما ساوى بين الجبلين صبّ النحاس المذاب على الحديد المحمّى، فالتصق ببعضه بعضًا، وصار جبلًا صلدًا[4]

إنّ حكمة الممدوح، وخبرته الهندسيّة تفوق حكمة ذي القرنين، ولكنه في هذه المقارنة اعتراف بقدرة الممدوح، وخبرته الفائقة، ورفع شأنه وقدره.

---

[1] أبو الحسن مجاهد الدين الغيّاثي، حكم العراق ثلاثين عامًا، وتوفي سنة 540ه، ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، 336/9.

[2] حيص بيص: **الديوان**، 344/2.

[3] سورة الكهف، الآية 94-96.

[4] الزمخشري: **الكشّاف**، 615/3.

يعقوب عليه السلام

لم يكن شوقُ يعقوب –عليه السلام– شوقًا لفراق حبيب مات، ولا ذلك الشوق الذي يودّع فيه الحبيب حبيبه لأمرٍ جليّ، إنّه شوقٌ ممزوج بالألم والحسرة على فقدان الحبيب خدعةً، ففي هذا المشهد يستدعي الشاعر شخصيّة يعقوب –عليه السلام– حينما كتب لأحد أُمراء العلويين:

ولو ثنتْ عن ودادِ الشيءِ غَيبتُهُ لما أضَرَ بفرطِ الشّوق يعقوبُ[1]

فلو كان البعد يُخفّف الوداد والشوق لما أصاب العمى يعقوبَ –عليه السلام– نتيجة الحزن الشّديد على ولده الضائع، فلا هو فراق أبديّ، ولا هو فراق مودِّع.

وهذه الصورة المؤلمة تُحيلنا إلى القرآن الكريم حيث سردها بأسلوب قصصي رائع: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾[2]؛ أي أعرض عن أبنائه كاظمًا غيظه عليهم، في حين اشتدّ الحزن به حتى ابيضّت عيناه، وقيل: ما جفّت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه أربعين عاماً.[3]

إنّه من الصعب المقارنة بين الصورتين: فراق الأمير للشّاعر، وفراق ابن سيدنا يعقوب، فالأمر – وإن كان فيه مبالغة كبيرة– إلّا أنّ الشاعر أراد أن يوصلنا إلى مدى تأثره بفراق الأمير، وهي صورة مبالغ فيها، ولكنها تربط بين موقفين يجعلهما الشاعر متشابهين، فبذلك يعطي موقف فراقه الأمير حسرةً وألمًا وصدقًا بربطها بقصّة يعقوب وولده يوسف عليهما السلام.

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 198/1.

[2] سورة يوسف، الآية 84.

[3] ينظر: الزمخشري: **تفسير الكشّاف**، 316/3.

يوسف عليه السلام (عزيز مصر)

استحضر الشاعر شخصيّةَ عزيز مصر الذي كان بمنزلة ملك البلاد، ولم يكن الأمر صدفةً، فالممدوح هو أحمد بن حامد أبو النصر الملقّب بالعزيز[1] بقلعة تكريت، وكان قد أصاب أصفهان قحط، فكتب له:

أظنُّ اعتقاد النَّسْخ صحَّ دليلُهُ فعاد إلى ترتيب أوصافه الدَّهْرُ
عزيز يميرُ المُعْتَفين وسَبْعةٌ شدادٌ وجيٌّ في مساغبها مصرُ[2]

ففي الأبيات يمدح الشاعر العزيز يوسف –عليه السلام– بسخائه وحسن إدارته في الظروف الصعبة، فعلى الرغم من القحط، والسنوات الشداد إلّا أنه كان يُطعم أهل الحاجات.

وهذه المفردات التي ذكرها الشاعر في قصيدته: (العزيز، السبع الشّداد، ومصر)، كلّها حاضرة في قوله تعالى في: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾[3]، فهي صورة الرؤيا التي رآها الملك، وأراد تأويلها، فكانت صورة للقحط الذي سيحلّ بمصر كما بيّنها يوسف عليه السلام.

أما العزيز، فكان في هذا المشهد: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾[4]، فالعزيز يشهد له إخوته بالإحسان، وهو لا يظلم؛ فقد رفض أن يأخذ أحدًا إلّا من وجد معه المتاع.

إنّ إفادة النص الشعري، من النص القرآني وتحويل المشهد، وتحويره، إنّما تدلّ على تمكّن الشاعر، وحنكته الأدبية.

---

[1] أبو النصر أحمد بن حامد الأصبهاني، الملقب عزيز الدين المستوفي عم العماد الأصبهاني، كان رئيساً كبير القدر، ولي المناصب العليا في الدولة السلجوقية، قصده بنو الحاجات، ومدحه الشعراء، توفي سنة 526 هـ. ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، 188/1، و ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، 627/9.

[2] حيص بيص: **الديوان**، 407/3.

[3] سورة يوسف، الآية 46.

[4] سورة يوسف، الآيتان 78، 79.

أيوب عليه السّلام

كان أيوب -عليه السلام- مضرب الأمثال في الصّبر وتحمّل الصّعاب، وما زال الناس يردّدون عبارة "صبر أيوب"، ويتغنّى بها الشعراء عند حديثهم عن أمرٍ مؤلم، ومأساة تحملوها.

والشاعر عاش مأساة لم يبح بها، وصبر طويلًا دون أن يبوح بسرّه ويشتكي، فصَبرَ صبْرَ أيوب، فقال:

أُصيبَ ببلوى الجسم أيوبُ فاغتدى به تُضرب الأمثال إذ يُذكرُ الصّبرُ

فلمّا انتهت بلواه من بعدِ جسمه إلى القلبِ نادى معلنًا مسّني الضرُّ[1]

فقد كانت معاناة الشاعر كبيرة وقاسية، ولم يصرّح بها، لكنه قاس صبره بصبر أيوب الذي ضُرب به المثل في الصبر على الشدّة؛ فأحالنا إلى قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾[2] وقد يسأل سائل: علامَ صبرَ أيوب؟ لقد امتلك هذا النبيّ العظيم المال والجاه، ولكنّ هذا الرّخاء لم يدم على حاله، فقد أُبتُليَ بهدم بيته، وهلاك أولاده، وذهاب أمواله، ولازمه المرض في بدنه ثماني عشرة سنة، أو ثلاث عشرة سنة.[3]

ولعلّ مأساة كهذه تستدعي من المؤمن الصّبر عليها، فالشاعر يقيس حاله بحال أيوب عليه السلام في شدّة البلاء، وعظم صبره.

موسى عليه السلام

وللاسم دلالة عظيمة -كما يرى الشاعر-، ففي مدحه الخليفة المستضيء بالله، يستدعي شخصيّة موسى- عليه السلام- ليربط بين جماليّة الاسم، وجذوة ناره، فقال[4]:

فقلتُ أجَذْوَةٌ منْ نارِ موسى وليس على المُمَثِّل من جناحِ

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 342/2.

[2] سورة الأنبياء، الآية 83.

[3] البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، 77/2.

[4] حيص بيص: **الديوان**، 281/3.

فأسْـــفَرتِ المَخيلـــةُ عـــن إمـــامٍ طَليـــق الوَجـــهِ فَيّـــاضِ السّـــماحِ

ولعلّ توظيف الشاعر عبارة جذوة نار موسى وعلاقتها بالممدوح تثير تساؤل القـارئ؛ ممّا يُحيلنا إلى النّص القرآني في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾[1]

فقد خاطب موسى–عليه السلام– أهله بأن يمكثوا في مكانهم، حين عادوا إلـى مصـر، فضلّوا الطريق حين سلك بهم في ليلة ماطرة وباردة، فبينما هو كذلك رأى نارًا مضيئة، فطلـب البقاء فربما يستدل على الطريق، أو يأتي بقطعة من النار يستدفئون بها.[2]

وتبدو صورة الليل الحالك موحشة، وأجواء الريح والمطر تزيد الأمر وحشـةً وخوفًـا، ولكنّ النارّ المشتعلة تلقي بظلال الطمأنينة والأنس على الخائف.

تلك هي الصورة التي رسمها الشاعر للمستضيء بأمر الله، فالرّعيـة عاشـت ظلامًـا وحروبًا وألمًا، وبقيت على حالها حتى استضاءت بعدل هذا الخليفة، "فقد كان عدلًا، حسن السيرة في الرعيّة، كثير البذل للأموال، غير مبالغ في أخذ ما جرت عليه العادة، وكان الناس معه فـي أمن عام، وإحسان شامل، وطمأنينة وسكون، وكان حليمًا قليل المعاقبة على الذنوب"[3]

داود عليه السلام

يعود الشاعر إلى ممدوحه ابن البلدي، ليقدّم له باقةً شعريّة أخرى تتماهى مـع الـنّص المقدّس، فيضفيَ على ممدوحه صورة مشرقة علّه يلقى رضاه، ويسعد بتغريده، فقال:

فللسَّـــلم مـــا حاكـــت يـــدٌ عبقريـــةٌ وللحـــرب مـــا أضـــحى لـــداود ينْتمـــي[4]

---

[1] سورة القصص، الآية 29.

[2] يُنظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، 2224.

[3] ابن الأثير،: **الكامل في التاريخ**، 97/10.

[4] حيص بيص: **الديوان**، 166/3.

فالممدوح في السّلم عظيم الحكمة، أمّا عند الحرب، فينتمي لداود عليه السلام، وهذا القول يُحيل إلى النص القرآني، حيث ألهم الله تعالى داود –عليه السلام– صناعة الدّروع؛ لتحصّنهم في الحروب: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾[2].

فقد منح الله داود –عليه السّلام– الحكمة، وعلّمه صنعة الدروع، فقد كانت من قبل قطعًا على شكل صفائح، وهو أول من سردها حلقًا ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾[3] أي، "لا توسع الحلقة فتقلق المسمار، ولا تغلظ المسمار فتقدّ الحلقة"[4]، وكان وكان النبيّ داود –عليه السّلام– محاربًا قويًّا كما أن الله سبحانه وتعالى وهبه موهبة عظيمة، وهي إلانة الحديد بين يديه، وقد كشف عن أسطورته البطوليّة حينما قتل جالوت في مبارزة حاسمة. فممدوح الشاعر، رجل دين، وفارس مغوار، وصاحب حكمة؛ فحسن صنيع الممدوح يوازي صنيع داود عليه السلام؛ ممّا يُعلي شأن الممدوح ويرفعه إلى درجة التقديس.

سليمان عليه السّلام

ولسليمان –عليه السلام– نصيب في شعر أبي الفوارس، ولكن ليس للحديث عن سليمان ذاته، إنّما ليمدح من هم أصحاب رِفعة وشأن كما الأنبياء، فيقول في وصف حصان الخادم الأرمني يرنقش البازدار[5]:

يَرَنُقشٌ كسليمانٍ بِأشْهَبه إذا غدا ورخاءُ الريحِ مركبهُ[6]

---

[1] سورة سبأ، الآية 10.

[2] سورة الأنبياء، الآية:79، 80.

[3] سورة سبأ، الآية 11.

[4] ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل الدمشقي: **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أبو عبد الله عبد الحليم محمود بن نصر، ط1، مصر، 2010، مج1924/3.

[5] برنقش بازدار هو: من أعيان الأمراء، عاش في بغداد زمن المسترشد، وصار مع الخليفة في حربه ضد السلطان مسعود سنة 529 هـ: **الكامل في التاريخ**، 282/9.

[6] حيص بيص: **الديوان**، 321/1.

فذكر الريح والخيل يُحيلنا إلى قصّة سليمان –عليه السلام–: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦﴾[1]، فقد أعاد الله تعالى لسليمان ملكه، وأعطاه ما أراد، قال الحسن البصري رحمه الله: لمّا عقر سليمان الخيل غضبًا لله عزّ وجلّ، عوّضه الله ما هو خير منها، وأسرع الرّيح التي غدوّها شهر ورواحها شهر"[2]

ولم يجد الشاعر أجمل من شخصية سليمان–عليه السلام– ليتفاعل معها، فقد جعل خيل الممدوح تسابق الريح، كما خيل سليمان التي منحها الله تعالى له، فهي غدوها شهر ورواحها شهر، وهذا يدفع القارىء إلى متابعة التفاصيل.

ويستدعي الشاعر شخصيّة سليمان–عليه السلام– مرّة أخرى، حين مدح ملك العرب دبيس بن صدقة أمير بادية العراق عند فتح ملاذكرد[3]، وانتزاعها من يد امرأة ابن سكمان:

تناولَها من عِظام النّساءِ مُمَنّعةً شأنُها شانُها

فإن تكُ بلقيسُ في عرشها فإنّ دُبَيْسًا سُليمانُها[4]

وتمثّل بلقيس ملكة سبأ رمزية ذات بعد عميق في الشعر، وشخصيّة عظيمة سرعان ما نستحضر معها من هو أعظم منها ملكًا على الأرض؛ ممّا يُحيلنا إلى الحدث في القرآن الكريم، في سرد قصصي رائع، وبعد خيالي عميق، منها قوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ٤١ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ٤٢ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٤٣﴾[5].

---

[1] سورة ص، الآية 35–36.

[2] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، 2564/4.

[3] ملاذكرد: مدينة تركية، كانت مركزًا تجاريًا هامًا خلال فترة الإمبراطورية البيزنطية، شهدت أهم المعارك في التاريخ الإسلامي البيزنطي، والمعروفة بمعركة ملاذكرد عام 463 هـ، ومن أهم نتائج المعركة، انتصار السلاجقة، وتثبيت الوجود الإسلامي في آسيا الصغرى، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، ar.wikipedia.org

[4] حيص بيص: **الديوان**، 194/1.

[5] سورة النّمل، الآية 41–43.

وتبدو جمالية النص القصصي حينما انتزع سليمان -عليه السلام- سيادة بلقيس بمعجزة ربّانية منحه الله تعالى إيّاها، فسخّر له من يحضر له عرش بلقيس، ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[1] وقد أصابها الذهول لما رأت عرشها، وجالت نظراتها المذهولة في في القصر السحري، وبدأت الأفكار تتنازع في ذهنها حول هذه العظمة في إحكام الصانع، وبدائع الخلق الإلهي، فآمنت بما آمن به هذا النبي العظيم[2].

والشاعر لا يريد طرح قضية فكرية، أو عقديّة، ولم يسرد قصته، لكنّه يمدح شجاعة دبيس الخارقة، حين فتح ملاذكرد بحنكته، ليقيسها بحكمة سليمان عليه السلام.

المَلَك هاروت

ومن الصور التي رسمها الشاعر لممدوحه ابن البلدي بعد وصفه بأنّه ربيب الخلافة، وأنّ السيف يشهد له بالقيادة والسّيادة في المعارك، وهو سخيٌّ في عطائه، عادلٌ في حكمه، فيقول:

أبو جعفرٍ غرْسُ الخلافةِ والذي يُقرُّ له بالبأسِ سيفٌ وذابلُ
يجورُ على أمواله لِعُفاتِه ولكنّه عند الرّعيّةِ عادلُ
يقولون شِعْرٌ وهو سِحْرٌ تألفّ القُلوبَ فأنْبأ عنه حَبْرٌ وجاهلُ
ولكنّهُ حِلٌّ وهاروتُ مؤمنٌ وتَخييلُهُ حَقٌ وبَغدادُ بابِلُ[3]

إنّ انبهار الشاعر ودهشته من صنيع الممدوح وأعماله الخيّرة، جعله يتفنّن في القول إلى الحدّ الذي أدهش النّاس، وقالوا: ما هذا إلّا شعرٌ، فيردّ شاعرنا بأنّ عمل الممدوح يسحر العقول، ولكنّه ليس بساحر؛ لأنّه لا يؤمن بالسّحر، وهنا يضع ممدوحه في مشهد القداسة ليشابهه بالمَلَك

[1] سورة النمل، الآية 40.

[2] يُنظر: **تفسير الكشاف**، ص784

[3] حيص بيص: **الديوان**، 132/3. الذّابل: الرّمح.

هاروت، فيحيلنا إلى قولـــه تعـــالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾[1]

فيرى كثير من المفسّرين وعلى رأسهم الزمخشري أنّ تعليم الملكيْن السحر كان بهـــدف بيان حقيقته، ولغرض ابتلاء النّاس، فمن عمل به فهو كافر، وقال بعض أهل العلم: إنمـــا نـــزلا لبيان اجتناب السحر لا لبيان فعله[2].

لقد أبدع الشاعر في الربط بين الممدوح الذي يسحر العقول، والملك هـــاروت الـــذي ارتبط اسمه بالسحر، بغض النظر تعلم السحر أم لا.

يتبيّن ممّا سبق أنّ الشاعر بدأ في توظيف الموروث الدّيني، متأثّرا بالقرآن الكريم أيّمـــا تأثير، موظّفًا ألفاظه، ومعانيه، والشخصيات الدينية التي وردت فيه، ممّـــا يعكـــس شخصـــيّته المتديّنة، وسعة مخزونه القرآني.

فقد استدعى مفرداتٍ ومعاني قرآنيّةً؛ وذلك حين اتكأ على المفردة القرآنيّـــة بصـــورة جميلة لافتة للقارئ.

كما وظّف الشّخصيّات الدّينية، وما يتعلّق بها من أحداث، وجاء توظيفه لها متّسقًا مـــع الموضوع الذي يطرقه.

---

[1] سورة البقرة، الآية 102.

[2] يُنظر: الزّمخشري: **تفسير الكشّاف**، 305/1.

الفصل الثّاني

الموروث التّاريخيّ في شعر أبي الفوارس (حيص بيص)

المبحث الأول: توظيف الشّخصيّات التاريخيّة

المبحث الثّاني: توظيف الأحداث التّاريخيّة

الفصل الثاني

الموروث التّاريخي في شعر أبي الفوارس (حيص بيص)

توطئـــة

لم يكن الشعر ديوان العرب وحسب، بل كان وما زال سـجلًّا تاريخيًّـا يرجـع إليـه الدّارسون، فقد استدعى الشعراء الشخصيّات التي أثّرت في تغيير الأحداث، فمدحوهم، وصوّروا إنجازاتهم ومواقعهم أروع تصوير، وجسّدوا المواقف والأقوال أجمل تجسيد.

اتّخذت الشّخصيّات التّاريخيّة ذات الدّلالة الرّمزية مساحةً لا بأس بها من شعر حـيص بيص، وهذا ليس بغريبٍ على الشاعر؛ لأنّه لازم أصحاب السلطان والجاهات، فمـدح وافتخـر ورثى، واختار ما يليق بهم من صفات مجسّدة في شخصيّات مشهود لها بالشـجاعة، والقـوّة، والصبر.

لقد جعل الشاعر ديوانه سجلًّا حافلًا بالشخصيّات والأحداث والمواقـع التاريخيّـة فـي العصر السلجوقي خاصّة، والعصور الأخرى التي تأثّر بأحداثها وشخوصها. أمّـا الشخصـيّات التي مدحها، ووصفها بما يليق بها كان لها الأثر الأكبر في تغيير مسار تاريخ الـبلاد والمـدن والأماكن؛ ممّا يعكس ثقافة الشاعر الواسعة، وقدرته البارعة على صوغ الأغـراض، وربـط الشخصيّات والأحداث، بأخرى تاريخيّة تداخلت في نصوصه في نسيج شعري متكامل.

واشتمل هذا الفصل على مبحثين: الأول: توظيف الشخصيّات التاريخيّة، حيث تمّ ترتيبها ترتيبًا زمنيًّا، والثاني: توظيف الأحداث التّاريخيّة.

المبحث الأول

توظيف الشخصيّات التّاريخيّة

أبو رغوان

في بحر المديح الواسع، وأمواج الفخر الهادئة، وفي زخم الأشعار، لم ينس الشاعر نفسه، فغرّد مفتخرًا:

لستُ بالقاعدِ عن مكرُمةٍ وأبو رغْوان ذو المجد أبي[1]

ولعلّ الشخصيّة التي تتماهى مع أمجاد الشاعر ومفاخره هي مجاشع بن دارم، وكنيته أبو رغوان، وآل مجاشع بطن من بطون تميم، حيث ينتسب إليهم الفرزدق[2]، وهو الذي عناه جرير في معارضته الفرزدق:

بسيفِ أبي رغوانَ سيفِ مجاشِعٍ ضربتَ ولم تضربْ بسيفِ ابن ظالمِ
ضربت بهِ عندَ الإمامِ فَأرعشَت يداكَ وقالوا مُحدَثٌ غيرُ صارمِ[3]

وحين افتخر الشاعر بأبي رغوان، فإنّ هذا الفخر ينسحب على الشاعر أبي الفوارس، فهو كثير الكرم والعطاء، شجاع، ومقدام في منازلاته الحاسمة، بنى مجدًا لقبيلته تغنّى به الشعراء.

يريد الشاعر بمديحه هذا أن يبيّن مكانته العاليّة بالنسبة لقومه، تمامًا كما كان لأبي رغوان مكانته في قبيلته.

ابن مُكدَّم

على الرّغم من انشغال الشاعر في مديح الأمراء والكبار، والفخر بمن هم أهلٌ له، إلا أنَّ ذلك لم يمنعه من إدخال أجواء المزاح والطرافة، فشاعريته تفطن لأكثر المواقف بساطة

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 266/1.

[2] الأندلسي، محمد بن علي بن سعيد (384 – 456 هـ): **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: عبد السلام هارون، ط 5، دار المعارف، القاهرة، (د–ت) ص 320.

[3] أبو عبيدة، معمر بن المثنى البصري: **كتاب النقائض**، ضبطه: خليل عمران المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، 296/1.

وتأثيرًا وطرافة، فقد شهد موقف ختان طفل، فأثّر الموقف المؤلم في نفسه، وصوّر المشهد، وقد تحلّق ذووه حوله، فقال:

شـــجُع الطّبيـــبُ ولـــيس بـــابن مُكـــدَّمٍ فيـــــكم وليـــــس بعنتـــــر الكـــرّارِ
لمَّـــا دنـــا بحـــديـــــدةٍ مسْنـــونَـــــةٍ لجـــراحِ أشـــبال الهِزبْـــر الضّـــاري[1]

فالصورة مؤلمة للناظر، فالشّاعر صاحب حسّ مرهفٍ! فالطبيب جاء مشهرًا الموســى للختان، ولكن لم يتحرك بطلٌ لإنقاذ الضحيّة، فليس فيهم ابن مُكدّم[2]، وهو أحد فرسان مضر في في الجاهلية، وليس بينهم عنترة فارس بني عبس وشاعرهم الفذّ، الذي خلّده شعره، وخلّد التاريخ بطولاته الحربيّة.

لقد عدل الشاعر عن الوصف الطبيعي للواقع، معتمدًا على التشبيه، فصورة الطبيب وهو يحمل الموسى، أو الحديدة المسنونة أمر مألوف، أمَّا أن يجعل الطفل أسدًا ضاريًا فهــذا غيــر مألوف.

وقد رسم الشاعر مشهد معركة ليس فيها عنترة ولا مُكدَّم، وهذا أيضًا عدول، وانزيــاح للمشهد عمّا هو مألوف.

حاتم الطائيّ ومعن بن زائدة

مجّد الشّعراء أصحاب الكرم والفضيلة، وأصبحت هذه الشخصّيات رمــوزًا للكــرم، كشخصيّة حاتم الطائي، ومعن ابن زائدة، فقد كانا مضرب الأمثال في الكرم عند العرب، وكانا مضرب الشجاعة أيضًا، وكلاهما كان أميرًا في قومه، حيث كان حاتمٌ أميرَ طيّء، ومعــن بــن زائدة أمير العرب، ثمّ أصبح واليًا للعراق.

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 104/2.

[2] هو ربيعة بن مكدم، من بني كنانة، هو أشجع الفرسان كما شهد له عمرو بن معد يكرب الزبيدي أمام الخليفة عمر بــن الخطاب رضي الله عنه. يُنظر: ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي: **التذكرة الحمدونيــة**، تحقيــق: إحســان عبّاس، بكر عبّاس، ط1، دار صادر، بيروت، 1996، 444/2.

ويرى الشاعر في جلال الدين أبي الرضا بن صدقة[1] إنساناً جامعًا صفات مختلفة، كالإشراق، والشجاعة، والنبل، والكرم، وقد جمع بين هذه الصفات في قوله:

أغرُّ كرأدِ الصّبح طلقٌ جبينهُ يدلُّ عليهِ بِشرهُ والمكارمُ
إذا استنّ في الجدوى وشدّ على العدا تمنّى مقامَه الظّبى والغمائمُ[2]

ولم يكتف الشاعر بهذه الصفات، بل شخّص الجود مستدعيًا شخصيّة حاتم الطائي، يقول:

وشيك القِرى مستبشرٌ بضيوفِه يودُّ نداهُ الغمْر معْنٌ وحاتمُ
نماه إلى عليائهِ كلّ ماجدٍ فخورٍ إذا ما استنبطتهُ المواسمُ[3]

ممّا يذكّرنا بقول أبي تمام في أحمد بن المعتصم:

إقدامُ عمرٍو في سماحةِ حاتمٍ في حِلمِ أحنفَ في ذكاءِ إياسِ[4]

لكن الفارق بينهما، أنّ أبا تمام أقام علاقة مشابهة بين الممدوح وهذه الشخصيّات، أمّا حيص بيص، فقد فضّل الممدوح على حاتم.

وقد رفض الفيلسوف الكندي المقاربة التي أقامها أبو تمام، وأنكر عليه أن يشبّه ابن الخليفة بشخصيّات لم تكن أعلى منزلةً، لكنَّ أبا تمام ردَّ عليه قائلًا:

لا تنكروا ضربي لهُ مَنْ دونهِ مثلًا شرودًا في الندى والبأسِ
فاللهُ قد ضربَ الأقلَّ لنورهِ مثلًا من المشكاةِ والنبراسِ[5]

---

[1] هو جلال الدين أبو علي الحسن بن علي بن صدقة، كان وزيرًا للمسترشد بالله، وقد كان بليغًا فصيحًا، محبًّا لأهل العلم، توفي سنة 522، ديوان حيص بيص،82/1، وينظر: ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد: **الأنباء في تاريخ الخلفاء**، تحقيق: قاسم السامرائي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1999، ص210.

[2] حيص بيص: **الديوان**، 273/1.

[3] **السابق**، 275/1.

[4] ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن الأسدي، (390 – 456 هـ): **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق: محمد محيي الدين، دار الجيل للنشر والتوزيع، ط 5، 1981، 192/1.

[5] **السابق**، 192/1.

مستحضرًا قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ﴾[1]

ويستحضر الشاعر شخصيّة حاتمٍ مرّة أخرى في مديحه الأمير هندي الزهيري بقوله:

عمّـــت فواضِـــلُهُ وعـــمّ ثنـــاؤهُ فالحمـــدُ والإحســـانُ فـــي إطنـــابِ
فـــاغربْ حُـــوَيْتمُ إنّ ذكـــركَ خامـــلُ مـــذ جـــالَ هنـــديٌ بمـــتن ركـــابِ[2]

ولعلّ هذا الاستدعاء لشخصية حاتم ليس لمقارنة الممدوح به، أو لإعلاء شأن حاتم الطائي، إنّما أراد أن يرفع شأن الممدوح عاليًا، فأين حاتم من الممدوح؟

إنّ الممدوح بكرمه أعلى ممّن اشتهروا وصاروا مضرب الأمثال، كحاتم، وابن زائدة.

ولا شك أنّ هذا المدح، مقابل الحط من شأن شخص يُعدّ مثلًا للكرم العربي الأصيل ما هو إلّا طفرة في أدبنا، وهذا مأخذ كبير على الشاعر، وخطأ فادح بحق الأصالة العربيّة.

حاجب ولقيط

وفي نسيجه الشعري رموز دالّة يستدعيها الشاعر ليوازيها بحال ممدوحه ابن البلدي الذي كان له النصيب الأوفر من المديح في شعره، فقال:

وكنـــتُ أبحـــتُ الشّـــعر حـــين ملكتـــه إباحـــةَ مـــاءِ الـــرّافدين لشـــاربِ
فلمّـــا جـــرى مجـــرى الرّيـــاح وطبَّقـــت قوافيـــهِ أقطـــار الـــبلادِ العـــوازبِ
هممـــتُ بحظـــرٍ بعـــدَ طـــولِ إباحـــةٍ لســـوءِ اشـــتراكٍ لا لســـوءِ الرغائـــدِ
فحـــين بـــدت شـــمس العُلـــى دارميّـــةً بهـــا فخـــرُ شـــيخيها لقـــيطٍ وحاجـــبِ[3]

[1] سورة النور، الآية 35 .

[2] حيص بيص: **الديوان**، 280/2.

[3] حيص بيص: **الديوان**، 58/2. وقع في الديوان خطأ إملائي بكتابة العلا بألف على شكل الياء (العلى).

حين تولّى ابن البلدي الوزارة هنّأه الشاعر في غير قصيدة، وهذه واحدة من بحره الفيّاض، ويعدّ الشعر قدومه للنّاس كطلوع الشمس في وقت الضّحى، وهو فخر لقومه كفخر الناس بأولاد الرّجل الشّجاع زُرارة بن عبس الدّارمي التميمي، المعروف بحاجب، وكان سيِّدا في قومه، وقائدهم في مواطن عدّة، وأبعدهم صيتًا، وأوسعهم حُلمًا، ومن مشاهير أهل زمانه فصاحةً وبلاغةً، وأكثرهم وفاءً، وما خلّده التاريخ إلّا لوفائه حين رحل إلى كسرى يطلب العون منه؛ وذلك لما أصاب تميماً من جدب وقحط، ولكنّ كسرى رفض طلبه خوفًا من أن يُغيروا على بلاده، فألح عليه حاجب في الطلب، ورهن قوسه عنده متعهّدًا أن لا يُغير بنو تميم على بلاده، فاستجاب له كسرى، وصارت مقولة (قوس حاجب) مشهورة ومتوارثة بين الناس[1].

أمّا لقيط فكان من أشراف قومه ورؤسائهم، فارسًا شجاعًا، كثير الزّهو بنفسه[2]، فالدّال يليق بمدلوله في الرّفعة، والحكمة، والبلاغة، والشّهرة كما يرى الشاعر، فهذه الصّفات جعلت الشاعر يسمو بممدوحه في شعره.

أكثم بن صيفي

لم يذكر أبو الفوارس شخصيّة ما إلا وربطها بشخصيّة تاريخيّة لها أثر بارز؛ للكشف عن الصورة المشرقة لها، أو لتوجيهها وإثارتها، ففي هذه الصورة إشراقة ومديح يوجهه للأمير هندي بن أبي الفيّاض الزهيري، وقد كان في جيش الخليفة المقتفي في وقعة بكمزا، ثم التحق ومن معه من بني عوف في جيش السلاجقة[3]، وقد نال مديح الشعراء، حيث قال فيه مدحًا يتماهى مع ما قيل في أكثم بن صيفي:

---

[1] الموسوعة العربية، زُرارة أُسرة. www_ency.com

[2] السابق.

[3] ابن الفوطي: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين أحمد الشيباني: **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب**، تحقيق: د. مصطفى جواد، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ج4، القسم 3، ص438. **والكامل لابن الأثير**، مج9، ص396. وقعة بكمزا: حرب وقعت بين الخليفة المقتفي بأمر الله والسلاجقة سنة 549 ه، وفي هذه الحرب، غدر بنو عوف بالخليفة وعساكره ، ولحقوا بالسلاجقة، ومضى هندي الكردي أيضًا معهم، ينظر، **تلخيص مجمع الآداب**،397/10 .

مَن مثـلُ قومِكَ حين تُعتبر العُلى ... في يومِ مكْرمةٍ ويومِ تقدّمِ

قومٌ إذا عدم الصَّريخُ مُجيبهُ ... كانوا إليه كالبنانِ إلى الفمِ

وإذا عَفاهُم مُسنتٌ عّدِمِ الحَيا ... أغنوهُ عن عذب السَّحاب المُثجم

جمعت تميمٌ مجدها في دارمٍ ... فأقرَّ فاخرُ مجدها في أكْثمِ[1]

لقد أراد الشاعر أن يرفع من قدر الممدوح وقومه، فاستدعى شخصيّة حكيم العرب، وفارس تميم وخطيبها المفوّه، وهو شخصيّة حكيمة اجتمعت حولها العرب، وراسلته الملوك من العجم، فملأ صيته الآفاق، إنه أكثم بن صيفي التميمي الذي أدرك الإسلام في لحظاته الأخيرة.

هكذا رأى الشاعر ممدوحه الأمير الزهيري، فهو ذو شأن عظيم، كما أكثم بن صيفي.

النّعمان بن المنذر، والمحرّق (عمرو بن هند)، ومنذر اللّخمي

يواصل الشاعر استدعاء شخصيّات تراثية ذات بُعد سياسي إيجابي؛ ليرضي ممدوحه، فيقول في مديح قطب الدين قايماز[2]:

ملَكَت بك العُربُ الفَخارَ وقد ... نُوديَ بأنَّك فيهم الملكُ

ففضّلَت نعْمانًا ومُنْذِره ... ومُحَرِّقًا والاسم مُشترَكُ

ودعَوْكَ قطْبًا إذْ يدورُ بما ... تختارُهُ وتُحبُّهُ الفَلَكُ[3]

لقد بلغ الممدوح منزلة عظيمة عند الشاعر حينما استدعى شخصية النعمان بن المنذر، ومنذر اللّخمي، فهم من أكابر الملوك وأعظمها، أمّا المنذر بن عمرو اللّخمي، فقد ملك الحيرة ستين سنة[4].

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 360/1. وقع في الديوان خطأ إملائي بكتابة العلا بألف على شكل الياء (العلى).

[2] هو قطب الدين قايماز بن عبد الله التركي، شغل منصب القائد العسكري للأمير علاء الدين تنامش في بغداد، وكان كريمًا محبًّا للعدل، ولكنّ حادثة الفساد في بغداد 570 أدت إلى موته. يُنظر: ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، 71/10.

[3] حيص بيص: **الديوان**، 293/3.

[4] الزّركلي، خير الدين: **الأعلام**، 43/8، 294/7.

وأمّا المحرّق، عمرو بن هند، فهو أشهر ملوك الحيرة، فقد هابته العرب وأطاعته القبائل[1] .

وقطب الدين القائد العسكري كان مقدامًا مشهورًا بين العرب، فقد دانت له العراق، وفرض سلطته بمحبّة الناس، بل هو يفضُلُ كبار ملوك الحيرة، وملوك العرب قاطبةً.

العبّاس بن عبد المطّلب

لم تغب شخصيّة العباس بن عبد المطّلب من بال الشاعر، فهو هاشميّ الهوى، وقد صرَّح بهذا قائلًا:

فخرت قريشٌ بالوصيّ عليِّها ولها فخارٌ بعد ذلك في عليّ[2]

وفي زحمة مديح الأمراء والسلاطين، وفي جولته الأخرى مع الزينبي مادحًا ومهنّئًا إياه من قبضة الخليفة المسترشد بالله، وعودته إلى وزارته سالمًا بعد أن عزله الخليفة بعد اشتداد الصراع بينهما، قال:

شدَّ ابن مُستهمي الغَمامَ بحملةٍ شرفيّةٍ سُبقت بطعنةِ فيصلِ
وإذا السحائبُ أخْلَفَت مستمطرًا قامت أنامِلُهُ مَقامَ الحُفّلِ
وإذا الأسنّةُ أحْجمتْ عن مطعنٍ طعنتْ به آراؤه في المقتلِ[3]

ويرى الشاعر الممدوح شخصًا مباركًا، فهو حكيم في إسداء الرأي، وشجاع في المعارك، وهو الذي يُستسقى الغمام بوجهه، ويكفي أن يرفع أنامله للسماء فيستجيب المطر، وهي صورة يستحضر بها الشاعر العبّاس بن عبد المطّلب –رضي الله عنه–، وخاصّةً في عام الرّمادة، حيث أصاب المسلمين قحطٌ لانحباس المطر، فتوسّل المسلمون إلى الله تعالى، وخرج

---

[1] المحرّق : عمرو بن هند، عرف بنسبه الى أمّه، وهو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس، من كهلان، ويلقب بالمحرّق الثاني، اشتهر في وقائع كثيرة مع الروم والغساسنة وأهل اليمامة، وهو صاحب صحيفة الملتمس، وقاتل طرفة بن العبد الشاعر، كان شديد البأس، كثير الفتك، استمر ملكه خمسة عشر عاماً، وقتله عمرو بن كلثوم الشاعر، سنة 570 م . ينظر: الزركلي : الأعلام، 87/5 .

[2] حيص بيص: **الديوان**، 281/1.

[3] السابق، 276/1، 277.

معهم عمر بن الخطّاب داعيًا، وقيل إنه رضي الله عنه كان يستسقي بالعبّاس بن عبد المطّلب- رضي الله عنه-، فيقول: "اللّهم إنّا كنّا إذا قحطنا على عهد نبيّنا توسلنا إليك بنبيّنا، إنّا نتوسل إليك بعم نبيّنا"[1]

ولا شكّ أنّ مباركة الشخصيّة، وطلب الاستسقاء بها، ليس جديدًا على الشاعر، إذ هو متأثر بشعر عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه-، وسنشير إليه لاحقًا في الحديث عن الموروث الأدبي إن شاء الله.

استدعى الشاعر شخصيّة العبّاس بن عبد المطّلب مرّة أخرى، ولكن هذه المرّة حين مدح المسترشد بالله، وذلك عند انفصاله عن ملك العرب دبيس:

ومنكُم رسولُ الله أشرف رُسلهِ بطاعتهِ سُبُل النجاةِ تُرامُ
وأبْلَجُ فيَّاضُ النَّوال مُمَجّدٌ يُخالُ الحَيا من وجههِ ويُشامُ
وحَبْرٌ حفيظٌ لا يُردُّ دليلُهُ له بفتاوى المشكلاتِ قيامُ
وجوه بني العبّاسِ غُرّ لطيفةٌ وأعراضهم مُلْس الأديمِ كرام[2]

فالممدوح في نظر الشاعر مبارك أيضًا، فهو كالعبّاس بن عبد المطّلب أبلج، أو مشرق الوجه، وفيّاض النّوال؛ أي كناية عن السخاء.

أويس بن عامر القرني

يشدو أبو الفوارس مادحًا ومفتخرًا، ولكنّه في هذا المشهد يبدو معاتبًا، وذلك حين فارقه الوزير عماد الدين أبو النصر علي، فقال:

وحال أويس والنبيّ محمدٍ بما صحّ من نقْلٍ عَنِ العُلمَاءِ[3]

ويأتي هذا العتاب لتقصير عماد الدين، وقد رمى البعد بينهما بسهم من الجفاء، فقال:

---

[1] ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، 398/2.
[2] حيص بيص: **الديوان**، 390/2.
[3] السابق، 357/3.

ولـــــكنْ ظننْـــتُم أنّ كُـــــلّ مـــــودّةٍ خـــداج إذا لـــمْ تقْتَـــــرن بلقـــــاءِ[1]

يرى الشاعر أن البعد ليس عذرًا، ولا يخلق جفاءً، فيستدعي شخصيّاتٍ بارزةٍ؛ ليـدعم حكمته، وهي شخصيّة أويس بن عامر الذي ذكره الرسول –عليه الصلاة والسلام–، ولم يـره، حيث أدرك أُويس الإسلام، وسكن الكوفة، وكان زاهدًا، ومن التّابعين الكبار، حيث كان عمر بن الخطّاب إذا أتى إمداداً من اليمن يسألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ ويلتقي به، فيسأله عن صـفاته كما أخبر عليه السلام عنها، ويُخبره عن برِّه بوالدته، فعمر بن الخطّاب يخبره أن الرسـول – عليه السلام– قال عنه: لو أقسم على الله لأبرّه، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل[2].

هكذا كانت منزلة أويس بن عامر عند رسول الله، فهو يسأل عنه، ويبرّه كما برّ والديه دون أن يلتقي به، أو يراه.

العلاقة الحميميّة لا تكون بالتقارب، ولا تنتهي بالبعد والتقادم، وهي حكاية وقصّة يريد أن يوصلها الشاعر الأمير معاتبًا إيّاه.

الحجّاج بن يوسف

رسم الحجاج سياسته بالقوّة والجبروت، فكان سيفه لا يوضع في غمده، ولا يهـدأ مـن القتال، كيف لا وقد أقنع نفسه أنّ العراق بلد الشّقاق والنّفاق؟ فكانت مقولة رسخت فـي أذهـان الناس.

يمدح القاضي يحيى بن سعيد بن المظفّر المعروف بابن المُرخِّم[3] الشاعر الأمير شهاب الدين، فيصفه بالوصال، وحسن الخلق، يقول[4]:

إنّ الأميـــرَ شـــهاب الـــدّين غرّتُـــهُ تهـدي الهـداةَ ونجـمُ اللّيـلِ مسـتترُ

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 356/3.

[2] يُنظر: ابن الأثير، علي بن محمد الجزري عز الدين ابو الحسن: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ط1، دار بـن حـزم، بيروت، 2012، ص91.

[3] هو السديد أبو الوفا يحيى بن سعيد بن يحيى بن المظفر المعروف بابن المرخّم، الذي صار أقضى القضاة ببغداد في أيام المقتفي. ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، 124/3.

[4] حيص بيص: **الديوان**، 60/3.

قــد كــان يجمعُنــا مــنْ كــان أعهــدهُ مــن حســن عهــدٍ بــه الأيــامُ تفتخــرُ

ويردّ عليه أبو الفوارس في قصيدة يشترك معها في الوزن والقافية، قائلًا

والمُــرهف البأس فــي حلــمٍ يوقّــرهُ إذا يُهــاج فــلا طــيشٌ ولا خَــورُ
والسّالم الــودّ مــن غــشّ العــراق إذا فــاض النّفــاق وماتــت أنفُــسٌ غُــدرُ[1]

إنّ الدّارس لتاريخ العراق وماضيه السّياسي سرعان ما يستحضر الحجّــاج وجبروتــه، وخُطب التّهديد والوصف لأهل العراق، ففي أكثر من خطبة وصف العراقيين بأنهم أهل النّفــاق والشّقاق، حيث كان يقول:

"يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، إنّي أردت أن أحج، وقد استخلفت عليكم محمدًا ولدي..."[2]، والشاعر أراد أن ينفي عن ممدوحه الغشّ والنفاق، ومن المؤسف حقًــا أن يســتثني الشاعر ممدوحه فقط من هذه الصّفة المُشينة، وكان عليه –بحسن بديهته وشاعريته– أن ينفــي قول الحجاج جملةً وتفصيلا.

يحيى بن خالد البرمكي، وجعفر بن يحيى البرمكي

حين يربط الشاعر بين شخصيّات البرامكة كيحيى بن خالد البرمكي، وجعفر بن يحيــى البرمكي، وهما من كبار رجالات الدّولــة[3]، والممــدوح الأميــر الزّهيــري، يتســرب إلــى ذاكرة القارئ صراع البرامكة مع الخليفة، ممّا يثير تساؤل الدّارس عن العلاقة بين الصورتين، فيقول:

فــأبو المهنّــدِ حُجّــةٌ فيمــا روتْ عنــه الــرّواةُ مُعــدَّلٌ لــم يكــلْمِ

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 61/3.

[2] ابن عبد ربه، احمد بن محمد الاندلسي: **العقد الفريد**، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، ط1، دار الكتب العلميــة، 1983، 305/5.

[3] أبو الفضل، الوزير الجواد، سيّد بني برمك ، وهو مؤدّب الرشيد العبّاسي ومعلّمه، ولمّا ولي الرّشيد الخلافة دفع خاتمــه إلى يحيى وولّاه أمره، وقد علا شأنه، ولكنّ الرّشيد حين نكب بالبرامكة سجنه ، قال عنه الرّشــيد مــات أعقــل النــاس وأكرمهم. أمّا جعفر فقد كان وزيرًا مرموقًا، وكاتبًا فصيحًا، قتله هارون الرّشيد، وبقتله انتهت مدّة دولة البرامكة. يُنظــر: الزّركلي، خير الدين: **الأعلام**. 144/8، 2/ 130.

فكـــأنَّ يحيـــى البرمكـــيّ وجعْفـــرًا بعثـــاهُ خصْـــم الجاحِـــدِ المـــتهجِّمِ[1]

فالممدوح –كما يرى الشاعر– وفيٌّ مخلصٌ، على الرغم من أنّه انضمّ إلى بني عـوف مع جيش السلاجقة، بعد أن كان مع جيش الخليفة المقتفي في وقعة بكمزا[2]، حين عدل الممـدوح إلى الحق، كموقف البرامكة مع هارون الرّشيد، وكأنّ الشاعر يدافع عن البرامكة الذين أخلصوا للخليفة سنوات طوال، ولكنّ الخليفة نكّل بهم.

ولم يذكر المؤرخون سبب التحاق الممدوح بالجيش المعادي للخليفة، في حـين تحـدّثت كتب التّاريخ عن أسباب تنكيل هارون الرّشيد بالبرامكة، حين تمكّنوا من مراكز الدّولة العليـا، وكثرت أملاكهم في الدّولة، فلم يكن الرّشيد يمرّ بإقليم، أو بستان، أو مزرعة إلاّ قيل لجعفر[3].

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 365/1.

[2] تمت الإشارة إلى ذلك الحدث في الحديث عن أكثم بن صيفي، ص 51 من الدراسة.

[3] يُنظر: ابن كثير، أبو الفدا الحافظ الدّمشقي. **البداية والنّهاية**، مكتبة، بيروت، **1990، 10/ ص189**

المبحث الثّاني

توظيف الأحداث التّاريخيّة

يوم الكُلاب

يستحضر الشاعر من الماضي التليد موقعة ساخنة، وهي يوم الكلاب ليفتخر في قومه:

تذامـــرَ قــومي بالكُـــلاب فصــافَحَتْ   ســيوفهم هــامَ العِـــدا والنَّواصـــيا[1]

هنا يجسّد الشاعر صورة قومه الذين يتسابقون إلى القتال، ويتحاضون بقوّة في المعركة، فسيوفهم تطال الهامات، وتقطع الرؤوس، وهي صورة توحي بالشدّة والعنف كما يوم الكُـلاب الثاني، وهو يوم من أيام العرب المشهود له[2].

وقد بقي يوم الكُلاب الثاني محفورًا في ذاكرة الشاعر، يستحضره في ذاكرته مفاخرًا أو مادحًا السلاطين والكبراء، أمثال الوزير شرف الدين نوشروان بن خالد[3]، حين وزر للسـلطان مغيث الدنيا والدين محمود بن محمد بن ملكشاة،[4] فقال:

سل الحيَّ عنّــي هــل أناخــت خســيفةٌ   بربعــي وهـــل ذادَ الرّجـــاءُ إبائــــي
وغِيران غزْوٍ مــن تمــيمِ بــن خنــدفٍ   يــرونْ نجــاءَ الـــذلِّ غيـــرَ نجـــاءِ
هم منعــوا يــوم الـــكُلابِ ذمـــارَهم   بضـــربٍ كحـــرِّ النّـــارِ غيـــرِ رُخـــاءِ[5]

لقد مدح الشاعر الوزير وحاشيته بالقوّة الجبّارة التي تحاكي قوّة بني تميم وأبطالها فـي يوم الكُلاب الثاني المشهور.

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 120/1.

[2] سمي الكُلاب لما لقوا فيه من الشّر، والكُلاب عن يمين شمام وجَبَلة، وكان بين بني سعد الرباب، وكان رأس الناس فـي آخر ذلك اليوم قيس بن عاصم، أُسر على إثرها عبد يغوث بن صلاءة الحارثي. يُنظر: الحموي، شهاب الـدين يـاقوت: **معجم البلدان**، 473/4،472.

[3] هو أبو النصر شرف الدين أنو شروان بن خالد، وزير الخليفة المسترشد بالله، والسلطانان: محمود ومسعود الذي عزلـه من منصبه، يُنظر: ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، في التاريخ، 194/9.

[4] تولّى السلطان محمود السلطنة صبيًّا سنة 511ه، وتوفي سنة 525، وقد تنازع مع أخيه السلطان مسعود وحـدثت فتنـة بينهما، يُنظر: ابن الأثير: **الكامل في التّاريخ**، 191/9-192، 375. ويُنظر: ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، 200/5-202.

[5] حيص بيص: **الديوان**، 355/1 .

وقد استحضر الشاعر أيضًا يوم الكُلاب وأبطاله في مديح طغرل بن ملكشاه[1]، فقال:

سلْ الهول عنّي هل نبت بي عزيمةٌ وحمسُ الجلادِ هل جَبُنتُ بمشهد
نماني صَيْفيٌّ وسفيانُ والذي أباح دمًا يوم الكُلابِ ولم يَدِ
مُلوكٌ إذا عُدَّ الفَخارُ تسانَدوا إلى حسبٍ بالمكرماتِ مُوَطّدِ[2]

بدأ الشاعر مفتخرًا بنفسه وبنسبه كعادة الشعراء في الفخر، فالوقائع ومواقف الجلاد تشهد شجاعته، ولم تُكلّ عزيمته، وهذه الرِّفعة وعلوّ الشأن استمدّها من الكبار، أمثال والد الخطيب الجاهلي أكثم بن صيفي، وسفيان بن مجاشع بن دارم الذي أباح الدّم يوم الكُلاب، ولم يَدِ، وهو قيس بن عاصم المنقريّ التميميّ حين أسر الحارث بن صلاءَة التميمي، وأمر بدفعه لبني تميم ليُقتل مقابل قتيلهم القائد النعمان بن الحسحاس.

إنّ الشاعر يستحضر بطولة الكبار في يوم الكُلاب؛ ليصف بها ممدوحه طغرل، فهو ليس بطلًا وحسب، إنّما صاحب كرم أصيل يفخر به الأمجاد.

ذات كهف[3]

ذكر الشاعر ذات كهف ، وهو يومٌ مشهد لبني يربوع من تميم حين أسرو قابوسًا وأخاه حسّانًا، وهما أبناءالمنذر بن ماء السّماء أشهر ملوك الحيرة، فعندما يشدو الشاعر في مفاخراته ومديحه يحاول استدعاء الملاحم البطوليّة من بطون التّاريخ كموقعة ذات كهف؛ ليرفع سهمَ ممدوحيه، ويمجّد نسبه، فيقول مادحًا ابن البلدي، ومفتخرًا بقومه[4]:

جَلبْنا الخيْل مُشرفةَ الهَوادي تُهدِّمُ من حَوافرِها الإكاما

---

[1] هو السلطان طغرل بن محمد بن ملكشاه، تولى السلطنة بعد أخيه محمود بعد أن أعلن عليه الحرب والعصيان، وظلّ في نزاع مع أخيه مسعود، إلى أن توفي في 528. يُنظر: ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، 9/181-182.

[2] حيص بيص: **الديوان**، 1/179.

[3] ذات كهف: يوم لبني يربوع على المنذر بن ماء السماء، حيث أرسل المنذر جيشاً عظيماً على رأسه ابنه قابوس وعمه حسان بن المنذر، وساروا إلى بني تميم في طخفة، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، فقَتل بنو تميم الكثير من عساكر المنذر، وأسروا أخاه حسان بن المنذر وابنه قابوس. يُنظر: أبو عبيدة، معمر بن المثنى: **كتاب النقائض، 53/1.**

[4] السابق، 3/250.

ونحـــنُ الآســـرونَ بـــذاتِ كهْـــفٍ أبـــا قـــابوسَ إذْ يبْغـــي الـــذِّماما

تركْنـــا المُنْـــذرَ المرهـــوبَ خَـــوْدًا تَسِـــحُّ الـــدّمعَ مـــن ولَـــهٍ سِجامـــا

وتبدو خيول الشّاعر ضخمة، مرفوعة الهامات، وكأنها تهنّئ بانتصار فرسانها، والشاعر هنا يسقط حالته النفسيّة على الخيول الكريمة.

وأبو الفوارس في الأبيات السابقة متأثّر بشاعرٍ مخضرم، هو قـيس بـن المكشـوح المرادي، حين وقف يتغنّى بالنّصر، مزهواً بما فتح الله على المسلمين من تأييدٍ وظفرٍ في معركة اليرموك، قائلاً :

جَلَبْـتُ الخَيـلَ مـن صـنعاءَ تَـردَى بِكُـلِّ مُـدَجَّجٍ كَاللّيْـثِ سَـامِ

إلـى وادي القـرى فـديارِ بـدرٍ إلـى اليَرمـوكِ فالبَلـدِ الشـآمِ[1]

ولعلّ تحقيق الانتصارت والانجازات العظيمة ستبقى في ذاكرة التاريخ والأدب، فانتصاراتهم هذه كما انتصارات أجدادهم في غير موقع .

يوم ذي قار

ما يشرع حيص بيص بمدح وزيرٍ أو شخصية ذات مكانة سياسيّة إلا وينعتها بصفات قياديّة يستدعي من خلالها شخصيّات تاريخيّة ارتبطت بأحداث وانتصارات، ومواقع سجّلها التاريخ، وقد ألقت معركة (ذي قار) بظلالها على قصيدة الشاعر حين مدح السلطان غياث الدين مسعود[2]، فقال[3]:

يُـذمُّ منـهُ رعـاياهُ إذا اختلفـت عـدلٌ يجمـعُ بـينَ المـاءِ والنّـارِ

---

[1] البكري الأندلسي، عبد الله بن عبد العزيز أبو عبيد، **معجم من استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق: مصطفى السقّا، عالم الكتب، بيروت، 2009، 1393/4 .

[2] هو غياث الدين أبو الفتح محمد بن ملك شاه السلجوقي، رباه بالموصل الأمير مودود، ولما تمّكن أخوه السلطان محمود، طمّعه (جوش بك)بالاستيلاء على الحكم، والتقى أخاه، فانكسر، واستقل بالملك، توفي سنة 547.ينظر:العماد الحنبلي: **شذرات الذهب** 239/6. وابن الجوزي: **المنتظم في التاريخ**، 88/18.

[3] حيص بيص: **الديوان**، 376/1.

أغنـــت مواقفُـــهُ القُـــرّاءَ فـــي ســـيَرٍ عن يـــومِ ذي نُجُـــبٍ[1] ويـــوم ذي قـــارِ

فالممدوح يُستجارُ بعدله في المواقف الصعبة مهما اختلف المتخاصـــمان، وقـــد ســـجّل انتصارات تُغني عما يقرأ عنه الناس من حكايات ساخنة، وأحداث عظيمة كيوم ذي قار.

هذا الاستحضار لموقعة ذي قار، جنوب العراق، بين أكبر الدول، كدولة الفرس بقيـــادة كسرى، وبكر بن وائل إحدى قبائل العرب يستحق أن يكون يومًا مشهودًا.

ويعود سبب هذه المعركة إلى مطالبة "كسرى ابرويز" هانئ بن قبيصة بن هـــانئ بـــن مسعود أحد بني ربيعه بن ذهل بن شيبان بتسليم الودائع التي أودعها النعمان بن المنـــذر لديـــه، فأبى هانئ بن قبيصة تسليمها، واشتدّ غضب كسرى، فأرسل جيشه للحرب، فالتحموا بأرض ذي قار، وانكسرت شوكة الفرس، وقتل أكثرهم وفيهم الهامرز، وانتصر العـــرب علـــى الفـــرس انتصارًا عظيما، وانتصفت فيه العرب من العجم.[2]

بدر الكبرى

كانت الأحداث المشتعلة في زمن السّلاجقة وقودًا للشـــعر، وملهمـــة للشـــعراء الـــذين يُسارعون في كيل المديح بالانتصارات، والترقيات، وغيرها، فهذا أبو الفوارس يمدح المقتفـــي بأمر الله[3] لتوليه الخلافة، فيعدّد مآثره، ويسطّر أمجاده شعرًا، بقوله[4]:

بِت حيـــثُ شـــئتَ ولا يرُعْـــكَ المـــــنزلُ أمِـــنَ المُعـــرَّس[5] واســـتطيب المنْهَـــلُ

---

[1] يوم ذي نجب: هو موضع كانت فيه وقعة لبني تميم على بني عامر صعصعة، دعت بنو عامر حسان ابن كبشة الكندي، وكان ملك كندة إلى غزو بني حنظلة من تميم، ووقعت الحرب، فقتل ابن كبشة الملك، وأسر بعده وجوه بني عامر، وقتـــل رئيسهم عمرو بن الأحوص. ينظر:الحموي: **معجم البلدان**، 2016/5.

[2] يُنظر: الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977، 293/4-294، ويُنظـــر: ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، 6/ 112.

[3] هو أبو عبد الله محمد المقتفي بن أحمد المستظهر، ولي الخلافة على إثر خلع الرّاشد 531ه، حاصر بغداد خمسة أشـــهر وانتصر على السلاجقة، ولم تقم بعدها للسلاجقة قائمة، يُنظر: ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، 192/9-193.

[4] حيص بيص: **الديوان**، 358/2.

[5] المعرَّس: المكان الذي ينزل فيه المسافرون ليلًا للاستراحة، ينظر: ابن منظور: **لسان العرب**، مادة عـــرس، ج 10، ص 96.

ورأيْـــتُ بـــدرًا بـــالعراق صـــريحةً عـــاشَ المُحـــقُّ بهـــا ومـــاتَ المُبطـــلُ

ولعلّ الحروب التي خاضها المقتفي ضد السلاجقة، وانتصاراته التـــي حقّقهـــا جعلـــت الشاعر يستدعي معركة بدر الكبرى، فهو يشبِّه انتصارهم على السلجوقيين بمعركة بدر الكبرى، وهي أولى المعارك التي انتصر فيها المسلمون على المشركين نصرًا مؤزّرًا.

عام الرّمادة

وحال الشعراء، "في كلّ وادٍ يهيمون"، فتارةً يمدحون، وتارةً يهجون، ويخضعون لهبّات الرّياح، وتقلّبات الأحداث وعبثها بمراكز السلطان والخلافة، فبعد أن كان ملك العـــرب دبـــيس مقربًا للخليفة المسترشد بالله، حيث جعله صاحب الحلّة، وأمير بادية العراق، حدثت دسائس وفتن بينهما، فاضطر الخليفة إلى مقاتلته، فسيّر له المقاتلين في 517ه[1].

وقد مدح الشاعر دبيس بن صدقة في مواقف كثيرة، إلّا أنّه في هذه المرة يمدح الخليفة، ويعتذر له عن صحبته لدبيس، فيقول:

وأبلـــجُ فيّـــاض النّـــوالِ مُمجّـــدٍ يُخـــالُ الحَيـــا مـــن وجهـــه ويُشَـــامُ
أســـالَ بـــه عـــامَ الرّمـــادةِ ســـيْلَهُ وقـــد طـــالَ بالُمســـتمطرينَ هُيـــامُ
وحَبـــرٌ حَفـــيظٌ لا يُـــرَدُّ دليـــلهُ لـــه بفتـــاوي المشْـــكلاتِ قيـــامُ
وإنْ لـــم تكـــنْ لـــي منـــك ســـالفُ ذمّـــةٍ فـــإنّ مـــديحي حُرْمَـــةٌ وذِمـــامُ[2]

ويُلقي عام الرّمادة بظلاله على قصيدة الشاعر بعدما حشد فيها معاني الكرم، والشجاعة، والشهامة، والدّين، وهي المعاني التي يكرّرها الشاعر في مديح الكبار؛ فقد مدح أبو الفـــوارس الأمير الزّينبي بالكرم والجود، وأنه يُستسقى بوجهه الغمام تشبيهًا له بالعبّاس بن عبد المطّلـــب رضي الله عنه، وقد تمّ الإشارة إلى هذه المعاني عند الحديث عن العبّـــاس رضـــي الله عنـــه، ويكررها الشاعر في مدح الخليفة المسترشد بالله، ولكنه يصرّح بذكر عام الرّمادة، حيث مثّـــل أزمة شديدة في عهد عمر –رضي الله عنه– في أواخر سنة 17هـــ، وبداية عام 18هـــ، تمثّلت

[1] ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، 219/9.
[2] حيص بيص: **الديوان**، 390/2.

في حصول قحط شديد بين الناس في أرض الحجاز، حتى تجمع في المدينة من غير أهلها قرابة ستين ألفا من العرب، فقلّ الطعام، وجفّت ينابيع الأرض، وغارت مياه الآبار، وقد حثّ عمر –رضي الله عنه– الناس على كثرةِ الصلاة والدعاء واللجوء إلى الله، وخرج عمر يستسقي، ومعه العبّاس ليستسقي به.

هكذا كان الخليفة في نظر الشاعر، كما العبّاس بن عبد المطّلب في بشاشته وجماله، وفي إشراقة وجهه، وورعه وتقواه، وفي دعائه استجابة،

وقعة الجمل

يستغل الشاعر وقعة الجمل بين الأخوة المسلمين المتحاربين في مديحة دبيس بن صدقة، فقال:

ما خِطّةٌ في بلادِ اللهِ نازحةٌ ... إلّا وذكرُكَ فيها غايَةُ المَثَلِ
وما أزيدُكَ ممّا قلتُ منزلةً ... في لُجّةِ اليمِّ ما يُغني عن السّملِ
ويوم حصن بشيرِ حيثُ غادرهمْ ... صرعى على القاعِ من ثاوٍ ومعتقَلِ
ونوبةُ البصرةِ الفيحاءِ أوردهُمْ ... ضربًا من الضربِ يُنسي وقعةَ الجمَلِ[1]

والأخوة المتقاتلون هم دبيس بن صدقة وأعوانه من جهة، والسلطان ويرنقش الزكوي الذي شجع السلطان على إبعاد دبيس عن العراق إلى بعض النواحي من جهة أُخرى، وقد عزم السلطان على توليه البرسقي العراق وبعض النواحي، والسير إلى مقاتلة دبيس[2].

يستحضر الشاعر لهذا الموقف وقعة الجمل وما فيها من مشاهد قتال مؤلمة وقاسية بين جماعة عائشة –رضي الله عنها– ومعها الزبير بن العوّام، وطلحة بن عبيد الله، وبين عليّ ابن

[1] حيص بيص: **الديوان**، 234/1–235.
[2] يُنظر: ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، 213/9.

أبي طالب –رضي الله عنه–؛ وذلك إثر مقتل عثمان بن عفّان –رضي الله عنه– غدرًا، وكان حصيلة المعركة عشرة آلاف مقاتل من الطرفين[1].

ولعلّ الشاعر لا يريد عقد مقارنة بين الواقعتين، ولا يتحسّر على ما وقع بين المسلمين من اقتتال؛ لأنه يمدح دبيس ويقف معه، إنّما أراد إظهار معركة حصن بشير بين دبيس والخليفة تجعل المسلم ينسى وقعة الجمل على شدّتها وهولها.

كان التاريخ بشخصيّاته ملهمًا للشاعر أبي الفوارس، وقد وظّف الشخصيّات التاريخيّة المهمّة، كما وظّف أحداثًا تاريخيّة ذات أهمية بارزة، ولم يكن توظيفه لتلك الشخصيّات والأحداث مجرد اجترار للماضي، بل هو يستلهم الماضي القديم ويعيد صياغته وفق رؤية معاصرة ومتشابهة مع الماضي بشخصياتّه وأحداثه.

يتبيّن ممّا سبق أنّ الشّاعر وظّف الموروث التّاريخي بشخوصه وأحداثه؛ وذلك ليرفع شأن ممدوحيه، ويربط الماضي بالحاضر وفق رؤيته الخاصة.

ويكشف هذا التّوظيف عن مدى سعة مخزون الشاعر الثقافي، إضافة إلى قدرته الشعريه التي استطاع من خلالها ربط الأحداث التي عايشها بوقائع تاريخيّة، وأحداث ساخنة، مع العلم أنّ الشاعر كان يستحضر الحدث الواحد من الماضي أكثر من مرّة، عند مديحه للشخصيّات ووصفها.

[1] يُنظر: ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، 142/3.

الفصل الثالث

الموروث الأدبي في شعر أبي الفوارس (حيص بيص)

المبحث الأول: توظيف شعراء العصرين: الجاهلي وصدر الإسلام

المبحث الثاني: توظيف شعراء العصرين: الأموي والعباسي

المبحث الثالث: توظيف الأقوال المأثورة (المثل والحكمة)

الفصل الثالث

الموروث الأدبي في شعر أبي الفوارس (حيص بيص)

يُعدّ الشعر القديم رافدًا رئيسًا للشّعراء اللّاحقين، فنهلوا منه، ومن معانيه، ومن كلّ ما يتوافق وتجربتهم الشّعرية، حيث أصبح الفكاك منه أمرًا صعبًا؛ لأنّ توظيفه يخدم الموروث بكلّ أشكاله، "فللتّراث الشّعري سيطرة لا يكاد يفلت منها أي شاعر، والشّاعر عليه أن يفهم التّراث وأن يعيه حتى يتغلغل في نفسه، بحيث يصبح جزءًا من تكوينه، يستطيع بعده أن يصل إلى أسلوبه الخاص، والشّاعر من هذا المستوى يتجاوز التّراث عادةً فيضيف إليه جديدًا ولا يأوي إلى ظلّه، بل يخرج إلى باحة التّجربة الواسعة، ويحس إحساسًا عميقًا بسيطرته على اللّغة، بل على الشّعر"[1].

وبالقدر الذي كانت فيه سطوة التّراثِ بالغةً، فإنّ الانتقاء من دُرَرِه، وإعادة توظيفه بما يخدم الواقع الجديد ومعطياته أمرٌ جليٌّ لدى كثير من الأدباء، لا سيّما أنّ التراث يُمثّلُ حاضنةً خصبةً للإبداع.

ويقول البياتي في حديثه عن توظيف الموروث الأدبي: "والتّراث يمثل حقلًا معرفيًا خصبًا يحتاج إلى نظر نقدي لاختيار العناصر الحيَة منه، والقادرة على الديمومة التي تصلح أن تكون شواهد قادرة على التّجدد والتّموضع في نصوص جديدة، تستعصي على الاستهلاك الآني؛ لما تختزنه من ظلال وثراء يتأبّى على الاندثار والزوال".[2]

تجلّت مظاهر توظيف الموروث عند أبي الفوارس من خلال التّضمين، فتارةً يضمّن جزءًا من البيت الذي تأثّر به، وتارةً يضمّن المعنى العام للبيت.

وكان أبو الفوارس يلجأ في كثير من الحالات إلى استدعاء اسم الشاعر؛ ليربط اسمه باسم الممدوح. أو يربط حادثة تتعلّق بالممدوح بحادثة مشابهة للشّاعر الذي تأثّر به.

---

[1] عبد الصّبور، صلاح: **قراءة جديدة لشعرنا القديم**، منشورات: اقرأ، بيروت، (د–ط)، 18.

[2] البياتي، عبد الوهاب: **الشّاعر العربي المعاصر والتّراث**، مجلة فصول، م1، ع4، 1981، 22.

وكثيرًا ما تجلّت الحكمة في شعر أبي الفوارس؛ ليجعلّ شعره ذا طابعٍ إنســـانيٍّ مـــؤثّر خاصة في المواقف الصّعبة.

ولعلّ توظيف المثل في شعر أبي الفوارس يُعدّ واضحًا وجليًّا؛ وذلك لربطه بالأحـــداث والوقائع التي يفخر بها، فقد كان يستدعي المثل كاملًا، وأحياناً يستدعي المعنى العام له.

المبحث الأول

توظيف شعراء العصرين: الجاهلي وصدر الإسلام

إنّ المتأمّل في شعر أبي الفوارس يلحظ حضورًا واضحًا لتراث مَنْ سبقوه من شعراء العربيّة، مما يشي باطّلاعٍ واسع لدى الشّاعر على ما أنتجه هؤلاء الفحول من الشّعراء، فلا يكاد يخلو عصرٌ من العصور السّابقة له إلا وقد استلهم أبو الفوارس بعضًا من تجارب الشعراء السابقين، سواءً أكانوا في العصر الجاهليّ، أم في صدر الإسلامِ، أم في العصرين الأمويّ والعباسيّ، وهذا دليلٌ كافٍ على سعة اطّلاعه، وحافظته، وعمق تجربته، وقدرته على هضم ذلك التّراث، والإفادة منه، وإعادة إنتاجه لفظًا، أو معنىً، أو كليْهما معًا.

فهل كان الشاعر يبحثُ عمّا يُثبت جدارته في أن يكون في مصاف الشّعراء العظام، أم تُراه كان حريصًا على صقل تجربته، وإثبات قدرته، وتميّزه من سابقيه أو معاصريه في توليد المعاني، وإعادة إنتاجها في قالبٍ لغويٍّ أكثر رقّةً وعذوبةً وإيحاءً؟

لقد كان للشّخصيّات الأدبية ونصوصها نصيب وافر في شعر أبي الفوارس، سواء في ذكر أسماء تلك الشّخصيّات، أو تضمين أجزاء من أبياتهم، أو التأثّر بمعانيهم.

وانصبّ تركيز أبي الفوارس على الشعراء البارزين، ذاكرًا أسماءهم تارةً، وصفاتهم تارةً أُخرى؛ وذلك ليقارب بين الممدوحين، وهذه الشّخصيّة الأدبيّة العريقة، وخاصّةً شعراء المعلّقات الذين خلّدتهم أشعارهم، فتركت أثرًا كبيرا في أقلام الأدباء والنّقاد، والشّعراء، وهم: أوس بن حجر، وامرؤ القيس، والسّموأل، والحاث بن حلّزة اليشكري، والنّابغة الذّبياني، وزهير بن أبي سُلمى، وعنترة بن شدّاد، وحمل بن بدر القشيري، وعمرو بن معديكرب الزّبيدي، والخنساء، وعليّ بن أبي طالب.

أوس بن حجر

تأثّر أبو الفوارس بالشاعر الجاهلي أوس بن حجرالذي يمدح قومه بالشّجاعة في الحرب وإكرام الضّيف ولو في البرد الشّديد:

مَطاعينُ فـــي الهيْجـــا مَطـــاعيمُ للقِـــرى إذا اصْفرَّ آفاق السّـــماءِ مـــن القـــرْسِ[1]

ففي جولة المديح التي تمت الإشارة إليها في توظيف الموروث الدّيني، والتـــي يمـــدح الشاعر فيها جمال الدّين أنو شروان تبدو ظلال بيت أوسٍ حاضرةً في قوله:

كيـــفَ يعـــدو العـــزمُ مَـــنْ آبـــاؤهُ مـــن تمـــيمٍ صـــفوةُ المجـــدِ النُّبُـــلْ

المطـــــاعيمُ إذا عـــــزّ الحيـــــا والمطاعيـــــنُ إذا جَـــدّ الوَهَـــــلْ[2]

ويجمع الشّاعر في مديحه بين صفتين تفاخرَ بهما الشّعراء العرب، ترفعان شأن القبائـــل وقادتها، وهي الكرم، والشجاعة، وقد تغنّى أبو الفوارس بممدوحه مستدعيًا ذلك البيـــت لابـــن حجر، وقد قلده أبو الفوارس في المعنى والأسلوب البلاغي في تقسيم صفات قومه، حيث استعار منه الكلمتين: مطاعين، ومطاعيم، فبدا تأثره به جليًا واضحًا.

إمرؤ القيس

كان لامرئ القيس حضورٌ بارزٌ في تجارب بعض الشعراء، وهذا ليس بغريبٍ علـــى شاعرٍ كان من أبرز الشعراء في العصر الجاهلي، ومن البدهي أن نجد ظلالاً لأشعاره في شعر اللّاحقين، ومن بينهم أبو الفوارس، فقد افتخر بنفسه حين مدح جلال الدّين بن صـــدقة[3] وزيـــر المسترشد بالله حينذاك، فقال:

لـــولا تضـــمُّنُ مـــا أقـــولُ مـــن العُلـــى وثنـــاكَ كنـــتُ عـــن المـــديحِ بمَعْـــزلِ

ملـــكٌ ثـــوى بالجاهليّـــةِ رِمسُـــهُ فبعثتـــه منّـــي ببركـــةِ زلـــزلِ[4]

لقد استدعى أبو الفوارس شخصيّة امرئ القيس، ليشبّه نفسه به، وشـــاعريته بشـــاعرية الملك الشّاعر، فامرؤ القيس شاعر كبير، وبِعثَتُه في بركة زلزل[5]، وهو مسكن الممدوح.

---

[1] أوس بن حجر: **ديوانه**، تحقيق: محمد يوسف نجم، ط3، دار صادر، بيروت، 1979، ص52.

[2] حيص بيص: **الديوان**، 167/2.

[3] جلال الدين بن صدقة: كان عالي المرتبة، كثير المُلح، وافر الأدب، له شعر رقيق عذب، ينظر: ابن العمراني: **الأنبـــاء في تاريخ الخلفاء**، ص 210.

[4] حيص بيص: **الديوان**، 98/1. وقع في الديوان خطأ إملائي، بكتابة العلا بألف على شكل الياء، (العلى).

[5] بركة زلزل ببغداد بين الكرْخ والسّراة، وباب المحوّل، وسويقة أبي الورْد، وكان زلزل هذا ضرّابًا للعود، يُضـــرب بـــه المثل بحسن ضربه، وكان من الأجواد في أيام المهدي والهادي والرّشيد. يُنظر: الحموي،: **معجم البلدان**، 402/1.

إنّ شخصيّة الشّاعر عالية الشّأن، تحاكي شخصيّة الشّاعر الجاهلي امرأ القيس، ذلك الملك الذي ورث السّيادة عن أبيه حُجْر بن الحارث الكنْديّ، وهو الفارس المغوار الذي ثأر لمقتل أبيه[1].

السّموأل

إنّ الأخلاق العالية من السّجايا التي فاخر بها الشّعراء أقوامهم، ومدحوا بها شخوصهم، فصون العِرض شرفٌ رفيع، ووسام يلتصق بصاحبه، فكيف إذا نالته قصيدة في إشهاره؟ قال أبو الفوارس في مدح رضي الدّين أبي سعد المستوفي، وهو أحد مستشاري السّلطان محمد بن ملكشاه:

أُحبُّ سجايا الخيرِ غُرًّا كأنها إذا طلعت يومَ النَّديّ نجومُ
حواها أبو سعدٍ وإنّ اجتماعها على رجلٍ في عصرنا لَعظيمُ
هو المرءُ أمّا مالُه فمُرزَّأٌ شَتيتٌ وأما عِرضُه فسليمُ[2]

يضمّن الشاعر مديحه حكمة وهي أنّ مال المرء قد ينقص ويتفرّق، أمّا عرضه فلا بدّ من صونه من النّقص، أو العيب، وفي نفس المعنى يمدح الشّاعر الخليفة المسترشد بالله، ويعتذر عن صحبته لدبيس ملك العرب، بقوله:

هو المرءُ أمّا مالُهُ لعفّاتِهِ فحلٌّ وأمّا عرضُه فحرامُ[3]

يبدو أن الشاعر تأثّر بقول السّموأل المشهور فضمّنه شعره:

إذا المرءُ لم يدنسْ من اللّومِ عرضُهُ فكلُّ رداءٍ يرتديهِ جميلُ[4]

---

[1] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري،(276 ه): **الشعر والشعراء**، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ص105، 108.

[2] حيص بيص: **الديوان**، 144/2، المُرزّأ: المنقوص من العطايا. والشتيت: المتفرّق.

[3] حيص بيص: **الديوان**، 392/2.

[4] السموأل بن غريض الأزدي: **ديوان السموأل**، تحقيق وشرح: عيسى سابا، دار صادر، بيروت، (د_ ط)، 1951، ص 90 .

فقول السّموأل يقطر حكمةً، وهو نابع من تجربة، تتداولها الألسنة كالمثل، فما دام الإنسان يصون عرضه، فإنّ كل صفة يتّصف بها جميلة، وفي المعنى نفسه يقول مروان بن أبي حفص مادحًا الخليفة العبّاسي المهدي:

هو المرءُ: أمّا دينُه فهو مانعُ صؤونٌ، وأمّا ماله فهو باذلهْ[1]

وخلاصة القول إنّ أبا الفوارس، قد تأثر بقول بالسّموأل، فضمّن شعره هذه الحكمة المشهورة ، وكذلك مروان بن أبي حفص، إلّا أن بيت السّموْأل هو الذي اشتهر وشاع على الألسنة؛ وربّما يعود ذلك أنّ الشّاعر سبق غيره إلى هذا المعنى.

الحارث بن حلّزة اليشكري

تُلقي شخصيّة أخرى من شعراء المعلّقات بظلالها على مديح الشّاعر، ولكنّه هذه المرّة يتقاطع مع المعنى، ففي مديحه السلطان غيّاث الدنيا والدين مسعود، فقال:

يؤمُّ ضيفانَهُ خِرقًا أخا سَرَفٍ لا يكسَعِ الشّوْلَ من بخلٍ بأغبارِ
في الجودِ غير مُغبٍّ للعُفاةِ وفي الـ وغى مُستمرٌّ غيرُ فرّارِ[2]

إنّ الممدوح سخيٌّ كريم، فلا يُقدّم الطّعام في أوقات متفرّقة، إنّما يقدّمه في الأوقات كلّها، وهو دائم الحث على العطاء، وقد استلهم أبو الفوارس هذا المعنى ليتقاطع فيه مع قول الشّاعر الجاهلي الحارث بن حلّزة اليشكريّ، وهو يحث ابنه على حلب النّاقة لأضيافه، داعيًا إلى عدم كَسْع النّاقة[3]، أو ترك اللّبن في ضرعها، فقال:

قلتُ لعمروٍ حينَ أرسلتُهُ وقد حبا من دونها عالجُ

---

[1] مروان بن أبي حفص: **الديوان**، تحقيق وشرح: حسين عطوان، ط1، دار المعارف، القاهرة، 2009، ص 94.

[2] حيص بيص: **الديوان**، 376/1.

[3] والكَسْعُ: أن يُؤخذ ماءٌ باردٌ فيُضرب به ضروع الإبل الحلوبة إذا أرادوا تغْزيرها ليبْقى لها طِرْقُها ويكون أقوى لأولادها. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة: كسع، 67/13.

والشول: شالت الناقة بذنبها، والشائلة من الإبل: التي أتى عليها من حملها سبعة أشهر فخف لبنها، ابن منظور: **لسان العرب**، مادة: شول، 165/8.

أغبار: جمع الغبر، وهي بقية اللبن في الضرع. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة: (غبر)، 7/11.

لا تَكسَــــعِ الشّــــول بأغبارِهـــــا   إنّـــك لا تـــدري مَـــن النـــاتجُ[1]

فالشّاعر يقارب بين حال السّلطان الممدوح الذي يتّصف بالكرم ويحث علـى العطـاء، وحال الشّاعر الذي يحث ابنه على الإسراع في إكرام الضيوف.

ولا شك أنّ تأثّر أبي الفوارس بالحارث بن حلّزة يدل على فطنته ونباهته، ولعلّه بـذلك يريد إبراز نفسه شاعرًا مجيدًا؛ وذلك بتقليد الشّعراء الكبار، والحارث بن حلّزة لـم يكـن مـن أصحاب المعلّقات وحسب، بل كان شديد الفخر بقبيلته بكر، وفيه يُضرب المثل في الفخر، وقـد أجاد في مديح ملك الحيرة عمرو بن هند في معلّقته المشهورة؛ دفاعًا عن قومـه أمـام هجـوم عمرو بن كلثوم، فقرّبه إليه عمرو بن هند وأكرمه[2].

النابغة الذّبياني

يُعد النّابغة الذبياني واحدًا من كبار شعراء العصر الجاهلي، وهو ناقدٌ لشعراء عصـره، وله حضور بارز في شعر الشعراء فيما بعده، وقد حاكى أبو الفوارس شعر النّابغة الذبياني في المعنى، ففي مدح الوزير ابن البلدي لمّا دخل حلّة آل مزيد، ذكر حينها ما كان فيها من مكـارم أمير الحلّة دبيس بن صدقة، وكثرة خرجه في الصّلات والمضيف، ثمّ ذكر جيوشه وجموعـه، فبكى الوزير ابن البلدي وارتجل في الحال بيتًا من الشّعر، فقال:

لمّـــا نزلـــتُ بـــدار المزْيَـــديِّ وقـــد   أخنى عليها الـذي أخنـى علـى لُبَـدِ[3]

إنّ إحساس الوزير ابن البلدي العميق بالإيمان دفعه إلى التّأثّر والبكاء على الحال الـذي وصلت إليه الإمارة؛ ممّا استدعاه إلى إنشاد البيت السّابق مقتبسًا شطره الثّاني من معلّقة النابغة الذبياني، التي قال فيها[4]:

يـــا دار ميّـــةَ بالعليـــاءِ فالسّنَـــدِ   أقـــوت وطـــالَ عليهـــا ســـالف الأبـــدِ

[1] الحارث بن حلّزة اليشكري: **الدّيوان**، جمعه وحقّقه: إميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتاب العربي، 1991، ص65.

[2] ينظر: ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ص197.

[3] حيص بيص: **الديوان**، 164/3.

[4] الزّوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين: **شرح المعلّقات العشـر**، دار مكتبـة الحيـاة، بيـروت، 1983، ص292.

أضحت خلاءً وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لُبَدِ[1]

وقد ضمّن أبو الفوارس بيت الشّعر الذي أنشده ابن البلدي، وذلك في قصيدة من ثمانية عشر بيتًا، فأنشد:

من شاءَ يعلمُ ما خُصّ الوزيرُ به من النُّهى والتُّقى في يومهِ لغَدِ
وفَيض عبْرته من حُسنِ عِبرتهِ بالذّاهبينَ أولي النّعماءِ والنَّجَدِ
فقالَ مرتجلًا والدّمعُ في صَبَبٍ من خَشيةِ اللّهِ والأنفاسُ في صَعَدِ
لمّا نزلتُ بدارِ المزْيَديِّ وقد أخنى عليها الذي أخنى على لُبَدِ
فقد علمتُ بما أُوتيتَ من شِيَمٍ أنّ المكارمَ طُرًّا في بني البلدي[2]

لقد مدح الشاعر وزيره بالتّقوى والورع، والحسّ المرهف، والكرم، والشّرف العظيم، وهذا البناء على بيت الوزير يدل على نباهة الشّاعر وفطنته، وقد جعل جلّها في مدحه، ولم يحاول وصف الحلّة وما آلت إليه كما رآها الوزير، وربما لم يصف الشاعر خراب الحلّة؛ كي لا يُقال إنّه يُجاري النّابغة الذبياني.

زهير بن أبي سُلمى

ليس في وُسعِ مادحٍ إلّا أن يقف وقفة إعجابٍ وإشادة بما أقدم عليه كلٌّ من هرم بن سنان والحارث بن عوف حين جادا بالمال؛ ليوقفا دوّامة القتل التي فتكت بقبيلتيْ عبسٍ وذبيان، فأهلكت الحرث والنسل، فكان لهما ما أرادا، وحُقَّ لهما أن يكونا محطّ أنظار المادحين وأشعارهم، وفي مقدّمتهم الشّاعر الجاهليّ زهير بن أبي سُلمى، وقد ازدانت معلّقته بالإشادة بالمُصلحيْن وبمآثرهما الكبيرة، فكانت أشعاره في المصلحين نماذج تُحتذى لمن أراد من الشّعراء اللاحقين الإشادة بالعظماء، وها هو أبو الفوارس يتشرّب تلك المدائح، لكنّه يستدعي الشاعر زهير؛ ليبيّن مكانة ممدوحه، السلطان معزّ الدنيا والدّين سنجر بن ملكشاه، ففي جمال كلامه رونقٌ يخفي إشراقة الدّرر، وفي مديحه يختفي عمالقة الحكمة والإصلاح، فيقول:

---

[1] يقول الشاعر: إنّ الخراب حل بالديار، وقضى عليها الفساد نسور لقمان بن عاد، وقد مات مع موت صاحبه. يُنظر: الزوزني: **المعلقات العشر**، ص293.

[2] حيص بيص، **الديوان**، / 164/3.

إذا مـــدحتُ مُعـــزَّ الـــدين آونَـــةً فمـــا زهيـــرٌ بمـــذكورٍ ولا هـــرمُ

إن قلـــتُ الـــدرُّ يُخفـــي حســـنَ رونَقَـــهُ أو جـــادَ فـــالبحرُ يســـتحيي ويَحتشـــمُ[1]

والشّأعر أمام تحدٍّ لهؤلاء الكبار، وهم صغار أمامه، وشعره لا يتّسع إلا لمن هم أكبـــر، فأين شعر زهير وممدوحه من شعر حيص بيص وممدوحه؟ وهذا التساؤل هـــو لســـان حـــال الشّاعر. فزهير بن أبي سُلمى من أشهر الشّعراء، وأكثرهم حكمـــة، ويمثّـــل مدرســـة شـــعريّة متكاملة، وهو من أشهر شعراء المعلّقات، حيث اتّسمت معلقته بالوازع الإنساني الرّاقي، يقـــول زهير:

يمينًـــا لـــنعمَ الســـيّدانِ وجـــدتما علـــى كـــل حـــالٍ مـــن ســـحيلٍ ومبـــرَمِ

تـــداركتما عبسًـــا وذبيـــانَ بعـــدما تفـــانوْا ودقـــوّا بيـــنهم عِطـــرَ منشـــمِ[2]

لقد جمع الشاعر بين الفخر بنفسه والمدح، ورفع مكانة ممدوحه ومكانته بذكر اسم زهير وهرم، مستخدمًا قافية الميم المرفوعة لتتماهى مع هذا الكبرياء.

لم يكتفِ أبو الفوارس باستدعاء المصلحيْن في معلّقة زهير، بل تأثّر بالمعنى، وذلك في مديحه لنجم الدين يزدن[3]، يقول:

وإنّي ومَـــدحَ الفـــارس الشّـــهمِ يَـــزْدنٍ فتى المَجْـــدِ مـــن بَـــأسِ مَهيـــبٍ وأنْعُـــمِ

وإنْ كنْـــتُ صـــيّادَ الغرائـــبِ بالحِجـــا ومُنْهِضَـــها بـــالرّأيِ مـــن كُـــلِّ مَجْـــثَمِ[4]

ويفخر الشّاعر بنفسه بما يليق بالكبار، فهو صاحب رأي سديد، وقدرة علـــى التّـــدبير، واقتناص غرائب الحكمة واللّغة بالعقل، فيأتي بها من كل مكان على الأرض.

إنّ هذه الصّورة التي رسمها الشّاعر لنفسه تشابه الصّورة التي رسمها زهير بـــن أبـــي سُلمى في وصف الطّلل، فقال:

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 228/1.

[2] زهير بن أبي سُلمى بن رباح المزني: **ديوان زهير**، شرحه وقدّم له: علي حســـن فـــاعور، ط1، دار الكتـــب العلميـــة، بيروت، 1988، ص105-106.

[3] نجم الدين ين قماج بن عبد الله المسترشدي، وهو من أكابر الأمراء ببغداد، ابن الأثير: **الكامل *في التاريخ***، 7/10.

[4] حيص بيص: **الديوان**، 365/3، وينظر: ابن الجوزي: **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، 201/18.

أمـــن أُمّ أوْفـــى دمنـــةٌ لـــم تَكلَّـــمِ بحـــــوْمانة الـــدّراج فالمتثـــــلَّمِ
بهـــا العـــينُ والآرامُ يمشـــينَ خِلفَـــةً وأطلاؤهـــا ينهْضـــنِ مـــن كـــلّ مَجـــثَمِ[1]

خلت ديار أم أوفى من النّاس، ولم يعُد يسكنها سوى الظباء التي تتوالد فيه، وتسرح في المكان وصغارها تنهض من كلّ مكان، فتتبعها. أمّا أبو الفـوارس فتتوالـد أفكـاره الحكيمـة، والأمراء يتبعون رأيه السديد، والفارق بين الاثنين أنّ زهيرًا أسقط الحياة على أطلالـه علـى الرّغم من هجرة أُم أوفى، حيث خرجت صغار الظّباء من مواقعها، وأبو الفوارس جعل غرائب اللّغة، وآراءه السّديدة تخرج لتخلق الوفاق، والمحبّة، والولاء.

عنترة بن شدّاد

استهوت ألقاب الممدوحين الشاعر؛ ممّا يعينه على ربـط أسـمائهم بأسـماء الشّـعراء المشهورين، وكيف لا يخطر بباله الشّاعر عنترة بن شدّاد وهو يمتدح أميره عنتـرة بـن أبـي العسكر[2]؟ فيقول:

إذا ما شـكت بـيضُ السّـيوفِ ظمـاءةً سـقاها فروّاهـا مـن الهـامِ عنتـرُ
ولـــم أُردِ العبْســـيَّ لكـــن ســـميَّه ومَـــنْ هـــو أوْلـــى بالثَّنـــاءِ وأجـــدَرُ
فـــإنْ فَخِـــرتْ عـــبسٌ بفـــارسِ روْعهـــا فـــإنّ بنـــي الجـــاوانِ أعلـــى وأفخـــرُ[3]

فينفي الشّاعر منذ البداية أن يكون المديح لعنترة بن شدّاد العبسي، هذا الشّاعر الفـارس المغوار الذي خلّده شعره، وخلّد عبلة معه. وذلك حتى لا يظن القارئ للوهلة الأولى أنّ المقصود عنترة، ويرى شاعرنا أن قوم الممدوح عنترة بن أبي العسكر هم الأجدر بالمدح والفخر.

---

[1] زهير بن أبي سُلمى: **ديوانه**، ص103.

[2] هو الأمير فخر الدين أبو محمد عنتر بن أبي العسكر، كان من مشاهير الأكراد، وكان أميرًا للحلّة الجاوانيين، وهو مـن قادة العسكر في إمارة الحلّة، أُسر هو والأمير صدقة بن دبيس في الحرب التي دارت رحاها بين السـلطان مسـعود بـن ملكشاه–وكانا معه، وابن أخيه الملك داود بن محمود، ثمّ قتلا سنة 532هـ. ابن الفوطي، كمال الدين: **مجمع الآداب فـي معجم الألقاب**، 4/98–99.

[3] حيص بيص: **الديوان**، 1/320.

وعلى الرّغم من نفي الشّاعر الافتخار ببني عبس، إلا انّه يستدعي أجمل ما قاله عنترة، فيقول:

ســـوْرةُ السُـــمِّ فـــي التعـــزُّزِ أولـــى مـــن شـــفاءٍ بالـــذلِّ فـــي الترِيـــاق[1]

إن شرب السّم مهما كانت شدّته مع عزة النّفس أهون على المرء من التّرياق مع حيـاة الذّل، وهذا المعنى يحاكي قول عنترة:

لا تســـقني مـــاءَ الحيـــاةِ بذلّـــةٍ بـــل فاســـقني بـــالعزِّ كـــأس الحنظـــلِ

مـــاءُ الحيـــاةِ بذِلّـــةٍ كجهـــنّم وجهـــنّمُ بـــالعزِّ أطيـــبُ منـــزلِ[2]

حمل بن بدر القشيري (راجز)

يتذكّر أبو الفوارس في مديحه جمال الدّين أنو شروان نائب أبيه في الوزارة قولًا للراجز حمل بن بدر القشيريّ، فيضمّنه شعره، فيقول:

ومـــن العـــزْمِ أنـــاةٌ فاصـــطبر لصـــروفِ الـــدّهرِ والخطْـــبِ الجَلَـــلِ

لـــيس فـــرْطُ الصّـــبرِ منّـــي ذلّـــةٌ بـــل رويْـــدًا يلحـــقُ الهيْجـــا حمَـــلِ[3]

ويقدم الشاعر نصيحه خالدة لممدوحه، داعيًا إيّاه إلى الصّبر والأناة، فالأمور لا تُؤخـذ على عجل، والصّبر ليس مذلّة، وجلال الدّين هو من يملك الشّجاعة، يلحق الحرب ويجابهها، كما لحق حمل الحرب والنّار، وهذا القول اقتبسه من نشيد الرّاجز القشيريّ:

لبـــث قليلًـــا يلحـــق الهيجـــا حمـــلُ مـــا أحســـنَ المـــوتَ إذا حـــان الأجـــلُ[4]

ويفتخر الرّاجز بشجاعة الشّجعان الذين يواجهون النّار، والحرب الطّاحنة، وهم يؤمنون أن الأجل متى حلّ يوافيهم.

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 346/2.

[2] عنترة بن شدّاد بن العبسي: **ديوان عنترة**، ط4، بنفقة خليل الخوري، مطبعة الآداب، بيروت، 1893، ص70.

[3] حيص بيص: **الديوان**، 2/ 167.

[4] الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر: **المستقصى في أمثال العرب**، ط2، دار الكتب العلميّة،بيروت، 1987، 2/ 278، وحمل هو اسم رجل شجاع، كان يستظهر به في الحرب، ولا يبعد أن يراد به ابن بدر صاحب الغبراء، ينظـر: **السابق**، 278/2.

عمرو بن معد يكرب الزّبيدي وقس بن ساعدة الإيادي

نال الملك دبيس إعجاب الشّاعر، فمدحه في مناسبات كثيرة، وانتقى له أجمل الباقات الشعريّة، واستحضر له أسماء شعراء تناسب مقامه، ففي قصيدته الدّاليّة يستحضر شخصيّتين كبيرتيْن هما: عمر بن معد يكرب الزبيدي وقس بن ساعدة الإيادي، فقال:

فإن حربٌ فعمرو في زبيدٍ وانْ نطْقٌ ففُسٌ في إيادِ[1]

فالشاعر في مديحه هذا يوصل الممدوح إلى قمّة المعالي تارةً، فيصفة بشجاعة عمرو ابن معد يكرب الزّبيدي، هذا الفارس خاض جولات من المعارك الحامية الوطيس، كاليرموك والقادسيّة، وله في الشّعر جولات أخرى[2].

أمّا خطابة الممدوح، فهي بالغة الأثر كخطب قُس بن ساعدة الإيادي، فهو خطيب العرب المفوّه في الجاهليّه، وقد أدركه الرّسول –صلى الله عليه وسلم– وهو يخطب في عكاظ...

إنّ هذا الشّرف العظيم لا يبلغه إلا العظماء، فهؤلاء لا يمتلكون هذه الصّفة، إلا إذا كانوا فرسانًا، أو خطباء، أو شعراء، وهم من كانت تفخر بهم قبائل العرب.

ويبدو أنّ الشاعر لم يُعجب بشجاعة عمرو بن معديكرب وحسب، بل أُعجب بشعره أيضًا، ويتأثر به، فقال في مدح الأمير هندي الزّهيري وقومه واصفًا إيّاهم بالشّجاعة والكرم:

مَن مثلُ قومِك حين تُعتبر العلى في يوم مَكْرُمةٍ ويومِ تقدُّمِ
المُطعمينَ بكلِّ ليلٍ حالكٍ والطّاعنينَ بكلّ يومٍ أقتَمِ[3]

فقوم الممدوح كرماء في الشدّة، ووقت الحاجة، وشجعان أشداء في المعارك، وهذا المعنى اقتبسه من قول عمرو بن معديكرب الزّبيدي:

الضّاربين بكلّ أبيضَ مُخذّمٍ والطّاعنين مَجامع الأضغانِ[4]

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 255/1.

[2] يُنظر، ابن الأثير: **أسد الغابة**، ص955.

[3] حيص بيص: **الديوان**، 360/1. وقع في الديوان خطأ إملائي، بكتابة العلا بألف على شكل الياء (العلى).

[4] الزُّبيدي، عمرو بن معديكرب: **ديوان عمرو بن معديكرب الزبيدي**، جمعه: مطاع الطرابيشي، ط2، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1985، ص174.

فقد وصف الزّبيديّ فرسان قبيلته بقوّة الضّرب، وقتلهم قلوب الأعـداء الحاقـدة، فكـلا الشّاعرين تشابهت عندهما الصّورة؛ ممّا يدلّل على قدرة شاعرنا على مجاراة الشّعراء الكبار.

الخنساء (تماضر بنت عمرو)

حضرت معاني الخنساء في شعر حيص بيص، وذلك حين مدح دبيس بن صدقة قائلًا:

شـــآها عنـــد مُعتبـــرِ المَعـــالي طويـــلُ الـــرّمحِ واليـــدِ والنّجـــادِ
طليـــقُ الوجـــهِ أغلـــبُ مزْيـــديٌّ مُضـــيءُ النّـــار مرفـــوعُ العمـــادِ[1]

يصف الشاعر دبيس بالكرم والشجاعة، وذلك في كلمات: (رفيع العماد، طويل النجـاد، وكثير الرّماد...) وهي كلمات سرعان ما يستدعيها الدّارس من شعر الخنساء التي بكت بكـاءً مرًّا على فراق أخيها صخر، فوصفته بأرقى الصفات، ورثته بأجمل الكلمات التي تثير الأحزان، وبكته أكثر من بكائها على أبنائها الشّهداء، فقالت فيه:

أعينـــيّ جـــودا ولا تجمـــدا ألا تبكيـــان لصـــخر النّـــدى
طويـــلُ النّجـــادِ رفيـــعُ العمـــادِ ســـاد عشـــيرتَه أمـــردا[2]

فهي تمدح خصال أخيها، فكان ذا مكانة عالية في قومه، ووصفت حمّالة سيفه بـالطّول كناية عن طول قامته، وهي الصّفات نفسها التي استحضرها الشّاعر من قول الخنساء ليلبسـها ممدوحه دبيس بن صدقة.

وبقيت الخنساء المثل الذي يُحتذى به في الرّثاء، ولكن الشاعر في رثائه لأخيه قال بأنه سيبكيه أكثر ممّا بكت الخنساء أخاها صخرًا:

أعنْـــهُ أســـأمُ سُـــلواناً وَصـــبْراً ســـأنْدُبُهُ ولا خنْســـاءَ صَـــخْرِ
فـــإنْ عجـــزت عـــن النّـــدبِ القـــوافي بعثْـــتُ الـــدّمْعَ نَظْمًـــا غيـــرَ نثـــرِ[3]

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 253/1.

[2] الخنساء، تماضر بنت الحارث بن شريدّ: **الديوان**، شرحه: حمدو طمّاس، دار المعرفة، ط2، بيروت، 2004، ص 31.

[3] حيص بيص: **الديوان**، 76/3.

عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه

لم يكن الصّحابيّ الجليل عليّ بن أبي طالب –رضي الله عنه– من الشخصيّات التاريخيّة الدّينيّة وحسب، بل كان شخصيّة أدبيّة عظيمة، وشعره يفيض حكمة وقيمًا، ومنها هذه الأبيات المشهورة:

ليسَ الجمالُ بأثوابٍ تزيّننا إنّ الجمالَ جمالُ العقلِ والأدبِ
ليس اليتيمُ الذي قد مات والده إنّ اليتيمَ يتيمُ العلمِ والأدبِ[1]

فأبو الفوارس ميّال للهاشميين بصورة عامّة، والعلويين بخاصة، وله مقتطفات في مدح الصّحابيّ عليّ بن أبي طالبٍ –رضي الله عنه– وأبياته المشهورة قالها على لسان العلويين موجهة للأمويين:

ملكنا فكان العفوُ منا سجيّةً فلما ملكتُم سالَ بالدّمِ أبطَحُ
وحللتُم قتْلَ الأسارى وطَالما غدوْنا عن الأسرى نعُفُّ ونصفَحُ[2]

ويعود الشاعر مرّةً أخرى ليستدعي شخصيّة عليّ بن أبي طالب –رضي الله عنه– وذلك في مدح وزيره عليّ بن طرّاد الزّينبي، وهي القصيدة ذاتها التي مدح فيها العبّاس بن عبد المطّلب– رضي الله عنه–وقد تمت الإشارة اليها في الحديث عن الشّخصيات التّاريخيّة من هذه الدراسة[3]، فقال:

فَخَرَتْ قريش بالوصِيِّ عَليِّها ولها فخارٌ بعد ذلك في علي[4]

فقد لبست قريش وسام الفخر والعزّة بشخص عليّ بن أبي طالب –رضي الله عنه– ويلازمها هذا الوسام الكبير، والحظ السّعيد بوجوده وصيًّا عليها.

---

[1] علي بن أبي طالب: **ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب**، جمعه: عبد العزيز الكرم، ط1، 1988، ص16.

[2] حيص بيص: **الديوان**، 47/1.

[3] ينظر: صفحة 62 من الدراسة.

[4] حيص بيص: **الديوان**، 281/1.

المبحث الثاني

توظيف شعراء العصرين: الأموي والعبّاسي

تأثّر أبو الفوارس بشعراء العصرين الأموي والعبّاسي، وقد استدعى أشعارًا لشخصيّاتٍ منْ هذين العصرين، ومنهم: قيس بن الملوّح، وسالم بن وابصة، وجرير، والفرزدق، وذو الرّمة، والبعيث، والشّافعي، وأبو تمّام، والمتنبي.

قيس بن الملوّح

على الرّغم من أنَّ المدح والفخر كانا أكثر أغراض أبي الفوارس؛ إلّا أنّه طرق باب الغزل؛ ليكشف عن جماليّات الدّرر الشعريّة التي لم تقلّ شأنًا عن الأغراض الشعريّة الأخرى، وقد كانت هذه الجماليّات من نصيب الأُمراء والسلاطين، وذوي المناصب العليا، فالغزل هنا من نصيب دبيس ملك العرب، يقول:

لذيذُ وصلٍ أراني يقظتي حُلُمًا فالعينُ باكيةٌ من شدّةِ الجذَلِ
ما ابنُ الملوّحِ قيسٌ في صبابته بالعامريّةِ ذات الدلّ والكسلِ
يسقي الثّرى دمعُ عينيه وقد حبست صوائبُ المزنِ أن تهمي مع الأصُلِ[1]

يستدعي الشّاعر في الأبيات السابقة شخصيّة مجنون ليلى قيس بن الملوّح؛ فينسب صفة الحبّ والهوى لنفسه، ويرى أنه أكثرُ حبًّا وشوقًا من ابن الملوّح الذي هام بالعامريّة، فوظّف شعره لوصف ما لاقاه من ألم الحب.

وترى الباحثة أنّ أبا الفوارس لم يوفق في الغزل؛ لأنه كان يفتعل عاطفة الحبّ، ويفتعل التعبير عنها، فهو ليس بالعاشق حقًا، وإنما تناول غرض الغزل مجاراةً لغيره.

كما يلاحظ أنّ أبا الفوارس كان شاعرَ بلاطٍ في المقام الأول، وهذا يجعله يتنافى مع غرض الغزل الذي ينبع من عاطفة ذاتيه صادقة، فقد كانت عواطف أبي الفوارس –في معظمها– مفتعلة باهتة باردة، وذلك ليس غريبًا على شاعر بلاطٍ لدى الخلفاء والأمراء.

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 232/1.

سالم بن وابصة[1]

تأثّر أبو الفوارس بالشّاعر الأمويّ سالم بن وابصة، ففي مديحه الوزير خالد أنو شروان واصفًا إيّاه بالحلم، والعفو عند المقدرة، فيقول:

سليمُ دواعـــي الصّـــدرِ ســـهلٌ رجوعُـــه أشـــدُّ هـــوًى بـــالعفو إذ كـــان أقـــدرا[2]

ومدحه في قصيدة أخرى بصفات رفيعة كالكرم، والتسامح ، والحلم، يقول:

فتـــى الحـــيّ أمّـــا داره فـــلـــلاجئٍ شريـــــدٍ وأمّـــــا زادهُ فَلجائـــــعِ

سليمُ دواعي الصّـــدرِ مســـتهطل النّـــدى قشـــيبُ رداءِ الحِلـــمِ عـــفُّ المســـامعِ[3]

وقد سبق الشّاعر الأمويّ سالم بن وابصة أبا الفوارس بتعبير مشابه عن صفة الحلـــم، وسعة الصّدر، بقوله:

أحبُّ الفتـــى ينفـــي الفـــواحشَ ســـمعُهُ كـــأنّ بـــه عـــن كـــلّ فاحشـــةٍ وقـــرًا

ســـليمُ دواعـــي الصّـــدرِ لا باســـطًا أذىً ولا مانعًـــا خيـــرًا ولا باســـطًا هجـــرًا[4]

ومن اللّافت للنّظر أنّ شاعرنا لم يتأثّر بالشاعر الأمويّ في اللّفظ والمعنى وحسب، بـــل اشترك معه في القافية والبحر.

ذي الرُّمة

لا تكاد تختفي شخصية الزينبي من شعر أبي الفوارس حتى تظهر ثانية، فها هو يجعله سحبان بن وائل، وقس بن ساعدة، فيمتدح صبره، وشـــاعريّته، لينتقل إلى الشّـــاعر الأموي ذي الرّمة حين عبّر عن حزنه الشديد، وأنّه يخفي في قلبه ألمًا أكثر من ذي الرّمة، فقال:

---

[1] سالم بن وابصة بن معبد الأسدي، وكان والي الرقّة ثلاثين سنة، وهو من الطبقة الأولى من التابعين، وكان شـــابًا فـــي خلافة عثمان بن عفّان رضي الله عنه، وتوفي في آخر خلافة هشام بن عبد الملك. الصّفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وآخرين،ط1، دار إحياء التراث، بيروت2000، ج15، ص59.

[2] حيص بيص: **الديوان**، 295/1.

[3] **السابق**، 1/ 78.

[4] أبو تمّام، حبيب بن أوس الطائى: **ديوان الحماسة**، شرح العلّامة التّبريزي، دار القلم، بيروت، 16/2.

وبـــينَ جنبـــيَّ قـــولٌ لـــو أُرحْـــتُ لـــه مـــن الهمـــومِ تمنّـــى القـــولَ غـــيلانُ[1]

فقد كان أكثر شعر ذي الرّمة في الوصف وبكاء الأطلال؛ وذلك لحزنه علـــى فـــراق محبوبته ميّة[2]، وعلى الرّغم من ذلك فإنّ حزن أبي الفوارس أشدّ يصعب على ذي الرّمة التعبير التعبير عنه.

ويتأثّر الشّاعر بذي الرّمة مرّة أخرى حين يمدح الزّهيري بـــالكرم الشّـــديد، والعطـــاء السّخي حين ينحبس المطر، وتجدب الأرض، فقال:

فـــي حـــينِ غَبْـــراءِ المَطـــالِعِ أزْمـــةٍ تَـــــذَرُ الخميلَـــــةَ تُرْبَـــــةَ المُتيّـــــمِ
حتـــى إذا حُـــبسَ القطـــارُ وأجحفـــت غُبـــرُ الســـنين وحـــالَ نـــوءُ المـــرْزَمِ
وطـــوى الطّـــوى أجســـامهم فجلـــيلهم يُزْجـــي الأزِمَّـــةِ كالزِّمـــام المُبْـــرمِ
أمّـــوا نـــوال أبـــي المُهنّـــدِ فـــاثنى يهمـــي كمُنْهـــلِّ السَّـــحاب المُـــرزِمِ[3]

فحين يتأخر المطر، وتصبح الأرضُ مجدبةً، ويحول الحول وقد انقلب الحـــال بســـبب (المرزّمين)، وهما نجمان، حيث كانت العرب تضيف الأمطار إلى النّجوم، وتقول: مُطرنا بنوء كذا وكذا؛ أما مطرنا في هذا الوقت، ولم يقصد إلى فعل النّجم،[4] فهذا المعنى سبق إليه ذو الرّمة الرّمة حين قال:

ولا زال مـــن نـــوءِ السّـــماك علـــيكم ونـــــوءُ الثّريّـــــا مســـــبلٌ متـــــبطّحُ[5]

يرى الشّاعر أنّ سقوط الأمطار وتبطّحها؛ أي جريانها في البطحاء، يـــرتبط بظهـــور النّجم النيّر المسمّى ب (السّماك).

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 213/2.

[2] يُنظر: قتيبة بن مسلم الدينوري: **الشعر والشعراء**، ص526.

[3] حيص بيص: **الديوان**، 363/1.

[4] الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: (282 – 370 هـــ): **تهذيب اللّغة**، تحقيـــق: إبـــراهيم الأنبـــاري، دار الكتـــاب العربي، 1997، 536/15.

[5] ذو الرمة، غيلان بن عقبة: **ديوانه**، تقديم: أحمد حسن بسج، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ص43.

البُعيْـــث[1]

ويحضر اسم البُعيث في شعر أبي الفوارس حينما يمدح الوزير الزّينبي فقال:

تركْـــتُ عليـــه غُـــرًّا لـــو زُهيْـــرٌ أصـــاخَ لِفضـــلها فَمـــنِ البعيـــثُ[2]

لقد انتقى الشّاعر أجمل الكلام في الممدوح، وله فيه قصائد جياد وحسان لو سمعها زهير ابن أبي سلمى لاعترف بفضلها، ويتساءل الشّاعر بسخرية عن شاعر الهجاء الذي لـــم يُغلـــب، وذلك عندما جرى ذكر البُعيث، حيث سمع بعضَ الحاضرين مُتسائلًا: وأين شعر البعيْث؟ ومـــا هذا إلا تفاخُر أبي الفوارس بقدرته الشّعريّة، وهو يرى أنّ الشّعراء الكبار لا يصلون إلى مرتبته في الشّعر.

ويلاحظ أن أبا الفوارس يبالغ في جُلِّ أغراضه، فهو تارةً يجعل ممدوحه أكرم من حاتم الطائي، ويجعل حاتمًا صغيرًا محقرًا عنده. وتارةً يجعل مجنون ليلى صغيرًا في العشق أمامـــه! وتارةً يجعله شاعرًا لم يهزم في الهجاء، ويقصد البعيث، فهو صغيرٌ محقرٌ أمام شعره.

جرير والفرزدق

جرير والفرزدق شاعران أمويان عاشا معًا حياة صراعٍ عاصفٍ، وما إنْ ذُكر أحـــدهما إلّا ويُذكر الآخر، وقد تركا إرثًا أدبيًّا ما يسمى بشعر النقائض. والصراع الذي بينهما لم يكـــن أدبيًّا وحسب، بل كان سياسيًّا، فجرير كان من أنصار الأمويين، والثاني كان هواه علويًّـــا؛ لـــذا ينتهز الشّاعر فرصة مديح الزّينبي ليهجو الشّاعر الكبير جريرًا، ويبدأ بما انتهى إليـــه صـــاحبه الفرزدق، فكان مطلع القصيد بهذا الهجوم، وكأنّ الشّاعر يتحيّن هذه الفرصة، فقال[3]:

تمنّـــى مقـــامي مـــن تمـــيمً كليْبُهـــا وســـاءَ جريـــرًا أن عُزيْـــتُ لـــدارمِ

---

[1] البعيث هو: خداش بن بشر بن مجاشع التّميمي، وكان خطيبًا وشاعرًا مجيدًا، وكان بينه وبين جريـــر مهاجـــاةٌ، وكـــان الفرزدق يُعينه على هجاء جرير، وقد امتدت هذه المهاجاة نحو أربعين سنة. يُنظر: الحموي، يـــاقوت: **معجـــم الأدبـــاء**، 52/11.

[2] حيص بيص: **الديوان**، 271/2.

[3] السابق، 248/2.

وأيْقــن أنّ الــدّهرَ لــم يُخْــلِ مــنهم خطيــبَ نــديٍّ أو كمــيَّ ملاحِــمِ

ومــا ذاك إلّــا أن دَلَفْــتُ لموْقــفٍ بمعْــتَلِجِ الفخْــرِيْن مــن آلِ هاشــمِ

فالشاعر سرعان ما يذهب إلى الصراع الطويل الذي كان يدور بين جرير والفــرزدق، وينتصر الشاعر للفرزدق الذي يعود نسبه إليه، وهي قبيلة دارم التي تُعدّ بطنًا من بطون تمــيم، ولو كان كليب بن يربوع موجودًا، لتمنّى أن يكون مقام الشّاعر، وكُليب ينتمي إلى غطفان التي ينتسب الشاعر إليها جرير بن عطيّة.

فبدأ الشاعر قصيدته بالمفاخرة والمهاجاة كقصائد الفرزدق، ولكن الشّاعر انتقــل إلــى ممدوحه الزّينبي مشيدًا بنسبه الذي يعود إلى العلويين والعباسيين، ويعود في جولة أخرى علــى الوتيرة نفسها إلى المهاجاة، ولكن هذه الجولة الشعريّة في مدح الوزير ابن البلدي، فقال:

يا مُحرزَ الفخرِ عن سعيٍ وعــن نســبٍ وفاعلِ الخيــرِ فــي ســرٍّ وفــي علــنِ

مــن دارِمٍ حيــثُ يربــوعُ وإنْ قرُبــت معدودةٌ لتنــافي الوصــفَ فــي الــيمنِ

بــاهى جريــرٌ بيربــوعٍ ومــا ثبتــت بــالقول دعــواهُ لــولا شِــرّةُ اللّســنِ

وأُثبــتَ الحــقُّ والــدّهماءُ شــاهدةٌ قولُ الفــرزدق عنــد البــدوِ والمُــدُنِ[1]

ويرى الشّاعر أنّ شأن يربوع مهما ارتفع، فلا يصل إلى مقام اليمن، فجرير لا يعرفــه إلا الفصحاء والشعراء، أمّاالفرزدق فهو معروف لدى النّاس عامَّة.

ويُضيف الشّاعر في قصيدة أخرى يمدح فيها الزينبي أنّ جريرًا لم يكن ليشتهر لولا ردّ الفرزدق عليه

وتــأبى جــوابَ الخــاملينَ وإنّمــا أشــاع جريــرًا ســوءُ رأي الفــرزدق[2]

فجرير يأبى أن يردّ على الشعراء حتى لا يرفع من قيمتهم، وقد عُرِف لجرير مكانتــه، وشهد له معظم الأدباء والنقاد، أنَّه كان أشعر أهل عصره.

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 64/2.

[2] **السابق**، 345/1.

ولعلّ هذا الفخر بالفرزدق والتعصّب له يعود إلى انتساب الأخير إلى العلويين، فزوجة الفرزدق نوّار هي ابنة أعْين بن ضُبَيْعة المجاشعيّ، وكان علي بن أبي طالبٍ –رضى الله عنه– وجّه أباها إلى البصرة أيام الحَكَمَيْن[1].

وقد وظّف الشّاعر معاني جرير والفرزدق في نقائضهما، فكلاهما يفخر بأنّه من أهل النبوّة، وممدوح في الكتاب المنزّل، فيقول في مدح علي بن طرّاد الزينبي:

فَخَرَتْ قريشٌ بالوصيِّ عليِّها ولها فخارٌ بعد ذلك في علي
قومٌ إذا ضاق القريضُ بمدحهم مُدِحوا بآياتِ الكتابِ المُنزّلِ
أملي رَحيبٌ منك في دَرَكِ العلى يا خيرَ مَرْجُوٍّ وخيْرَ مُؤمَّلِ[2]

فالشّاعر يرى أنّ قريشًا فخرت بوصيّها علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– وقد تحدثنا عنه في هذا المبحث[3]، ويفخر بقوم الممدوح الذين مدحهم الكتابُ المنزّل .

الشّافعي

لم تنقطع مدائح الشّاعر في السلاطين والأمراء، فصاغ النصائح والحكم؛ ليظهر سداد رأيه، فقال في مديحه الأمير الحاج نظر[4]:

خذ ما تشاء من الأيامِ أو فذر نلتَ العلا وبنو الآمالِ في سهرِ[5]

يرى الشاعر أنّ الممدوح نال العلا والمجد، وذلك بالسّهر والكدّ، وقد وظّف قبله الإمام الإمام الشافعي –رحمه الله– نفس المعنى، فقال[6]:

بقدرِ الكدِّ تُكتَسب المعالي ومن طلَبَ العُلا سهر اللّيالي

---

[1] ابن مسلم، قتيبة: **الشعر والشعراء**، ص476.

[2] حيص بيص: **الديوان**، 281/1.

[3] صفحة 94 من هذه الدراسة.

[4] أمير الحاج نظر، وهو المعروف بقطز الخادم، تولّى إمارة الخادم عشرين عامًا. سمع الحديث،وكان محبًّا للعلم، شجاعًا، وجيهًا عند الخلفاء، يُنظر: ابن كثير، أبو الفدا: **البداية والنهاية**، 228/12.

[5] حيص بيص: **الديوان**، 132/1.

[6] الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس: **ديوان الإمام الشافعي**، تحقيق:محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، ط 2 ،القاهرة، 1985، ص108.

ومَـــن رامَ العُـــلا مـــن غيـــرِ كـــدٍّ أضـــاعَ العُمْـــرَ فـــي طلـــب المُحـــالِ

وقد خصّ الشاعر حكمته بالممدوح، في حين كان حكمة الشّافعي عامّة دون أن يخصّها لأحد.

أبي تمّـــام

لم ينس الشاعر نفسه في الفخر، سواء تلميحًا وتصريحًا، فقد انتقى لنفسه أجمل المعاني، ففي إحدى حسانه الجياد خاطب صاحبيه على عادة الشّعراء الجاهليين الكبار في الوقوف علـــى الأطلال، فقال:

وأذنـــــا للقـــــولِ مـــــن معدنـــــهِ إنّ جِـــــدَّ القـــــولِ غيـــــرُ اللّعـــــبِ
وانْظرانـــــي وانظُـــــرا الحاســـــد لـــــي فمـــــع اللّحـــــظِ زوالُ الرِّيـــــبِ[1]

إنّ ثنائيّة الجدّ واللّعب، والصوت الانفجاري المكسور سرعان ما تُحيل الـــدّارس إلـــى أشهر ما قالته العرب في المدح، وهو مدح أبي تمّام للمعتصم في فتح عمّورية التي يقول فيها:

السّـــيفُ أصـــدقُ إنبـــاءً مـــن الكتـــبِ فـــي حـــدّه الحـــدُّ بـــين الجـــدِّ واللّعـــبِ
بـــيضُ الصّـــفائحِ لا ســـودَ الصـــحائفِ في متـــونهنَّ جـــلاءُ الشـــكِّ والرِّيَـــبِ[2]

يبدو أنّ الشاعر في افتخاره بنفسه تذكّر معاني أبي تمّـــام، ولعـــلّ الفـــرق بـــين بـــين الشّاعرين، هو إنّ جلاء الشك عند الأوّل يكون باللّحظ، والثاني بالسّيف، وشتان بينهما.

المتنبّي

حضر المتنبّي في قصائد أبي الفوارس، وكيف لا يحضر شاعرٌ كبيرٌ بحجم المتنبي؟ فهو بلا شك الشاعر الأول في المديح والحكمة، وأبو الفوارس يقلّده في المعنى حين يمدح دبيس ملك العرب، فيقول:

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 265/1.

[2] أبو تمّام، حبيب بن أوس الطائي: **الديوان**، شرحه: محيي الدين الخيّاط، نظارة المعارف العموميّـــة، (د_ ط)، 1994، ص7.

أجَلْـــتَ الخيـــلَ فـــي الآفـــاق حتّـــى تخوّفـــتْ السّـــماءُ مـــن الطّـــرادِ[2]

فقد سار الممدوح في الآفاق طولًا وعرضًا، حتّى تخوّفت السّماء وارتعبت من هيبتـــه، وهو مأخوذ من قول المتنبي في مدح سيف الدّولة لمّا ظفر ببني كلاب:

طلَبْـــتَهُم علـــى الأمْـــواهِ حتّـــى تَخَـــوَّفَ أنْ تُفتِّشُـــهُ السَّـــحابُ[1]

وصف المتنبّي سيف الدّولة بالقوّة الفائقة، لدرجة أنّ السّحاب خافت تفتيشه لأنّها حاملـــة للماء.

[1] المتنبي، أحمد بن الحسين بن الحسن الكندي: **ديوان أبي الطيب المتنبي**، شرحه: أبو البقـــاء العكبـــري، دار بيـــروت للطباعة والنشر، بيروت،1983، ص381.

المبحث الثالث

توظيف الاقوال المأثورة (المثل والحكمة)

للمثل سلطة قويّة في النّصّ؛ لأنه جزءٌ من الموروث الحضاريّ؛ ويعكس حضارة الأمّة وثقافتها وعاداتها وتقاليدها، لذّا تتناقله الألسنة من جيلٍ إلى جيل.

والمثل في اللّغة: الشيء الذي يُضرب مثلًا فيُجعل مثله، ومثل الشّيء أيضًا صفته"[1]

أمّا اصطلاحًا: فبعضهم عرّفه بقوله: "هو ما ترضاه العامّة والخاصّة في لفظه ومعناه، حتى ابتذلوه فيما بينهم، وفاهوا به في السّراء والضّراء"[2]، وقد عرّف الحسن اليوسي المثل بقوله: "إن المثل قول يرد أولًا لسبب خاص، ثم يتعداه إلى أشباهه، فيستعمل فيها شائعًا دائمًا على وجه تشبيهه بالمورود الأول"[3]

"ولمّا عرفت العرب أنّ الأمثال تتصرّف في أكثر من وجوه الكلام، وتدخل في جُلّ أساليب القول، أخرجوها في أقوالها من الألفاظ ليخفّ استعمالها، ويسهل تناولها، فهي من أجلّ الكلام وأنبله وأشرفه؛ لقلّة ألفاظها وكثرة معانيها".[4]

وقد اهتم العلماء والأدباء بالأمثال وعدوها فنًّا أدبيًّا، وتراثًا إنسانيًّا مستقلًّا، يغذّون عقولهم منه؛ لما له من خصائص يمتاز بها عن الكلام العادي[5].

والمثل مصدر من مصادر التّراث الأدبيّ ينهل منه الأدباء والشّعراء وعامّة النّاس، فهو وإنْ قلّت كلماته، إلّا أنّه يختصر حكاية إنسانيّة كاملة.

---

[1] ينظر: **لسان العرب**، مادة مثل، 18.

[2] ينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: **المزهر في علوم اللغة**، ج1، تحقيق: محمد احمد جاد المولى، (ب – ط)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1960، 486.

[3] ينظر: اليوسي، الحسن: **زهر الأكم في الأمثال والحكم**، تحقيق: محمد حجي، ج1، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1981، 21

[4] العسكري، أبو هلال: **جمهرة الأمثال**، تحقيق: محمد أبو الفضل، وعبد المجيد قطامش، ط2، دار الجيل، بيروت، 4/1.

[5] المساعيد، عواد حسن: **التناص في شعر علي بن الجهم**، رسالة ماجستير، 2012م، ص54.

وعلى الرّغم من قِدم الأمثال، وطول بُعدها الزّمنيّ، إلّا أنّ الناس احتفظوا بطابعها كما هي دون تغيير وتحريف، وقد اشترط القدماء، أمثال ابن الأثير والقلقشندي عدم التّغيير فيه عند تضمينه النّصّ الأدبيّ[1].

أما الحكمة فهي: "المواعظ والأمثال التي ينتفع الناس بها...، ويقال للرجل إذا كان حكيمًا: قد أحكمته التجارب، والحكيم: المتقن للأمور[2]"، والحكمة هي: " العلم مع العمل، وكل كلام وافق الحق فهو حكمة، وقيل الحكمة هي الكلام المصون عن الحشو[3] ".

واعتاد العربُ على ضرب الأمثال لإيصال فكرةٍ، وتلخيص تجربة، بأقرب طريقٍ وأقلّ جهد، وأبلغ مقال، ومن ثمّ ترسيخ الفكرة، وفهم المراد منها، واستيعابها ورسوخها في الذهن، لتظلّ خالدة على مرّ الزمن، وقد أبدع أبو الفوارس في الالتفات إلى هذه القيمة للأمثال، وأجاد في توظيفها.

فقد وظّف أبو الفوارس الموروث النّثري؛ أي المثل والحكمة؛ ليخدمَ حُجّته بقوّة، ويجعلَ شعره خالدًا بخلود الأمثال، منها:

حلبتُ الدّهر أشطره

يُضرب هذا المثل (حلبتُ الدّهر أشطره) لكلّ من يمتلك تجربة الحياة بخيرها وشرّها، وهو مستعارٌ من حلب أشطر النّاقة، وذلك إذا حلب خلفين، ثمّ يحلبها الثانية خلفين، وحلب أشطر الدّهر والمعنى أنّه اختبر الدهر شطري خيره وشرّه"[4]

فقد استدعى أبو الفوارس هذا المثل في قصيدة مطوّلة يمدح فيها الأمير الزّهيري بقوله:

---

[1] القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي: **صبح الأعشى، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922، 302/1.**

[2] إبن منظور: **لسان العرب**، مادة حكم، 188/4.

[3] الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، (ت 816 هـ): **معجم التعريفات**، تحقيق: محمد حسين المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د – ط)، باب الحاء، ص 81.

[4] الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد: **مجمع الأمثال**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مؤسسة الطبع والنّشر التابعة للآستانة، إيران، 1987،1/204.

ولَقــد حَلَبْــتُ الــدّهرَ أشــطره فمــا غــادرْتُ فيــه علمًــا لــم أتعلّــمِ[1]

فالشّاعر هنا يفخر بنفسه وبعلمه الغزير، فقد حصّل كلّ فروع العلم، إضافةً إلى خبرتــه بالحياة، وتجاربه مع النّاس بخيرها وشرّها.

كمستبضع التّمر إلى هَجَر

ويُضرب المثل (كمستبضع التّمر إلى هَجَر) لمن يُحضر بضاعة إلى مكان تشتهر فيــه البضاعة نفسها، وقد أراد الشّاعر أن يؤكّد أنّ الممدوح صاحب الخير الكبير ينشر خيره في كلّ مكان، فقد مدح ابنُ المُرخِّم قاضي القضاة[2] أبا الفوارس بقصيدة مطلعها:

إنّ الأميــرَ شــهابَ الــدّينِ غرّتــه تهــدي الهُــداةَ ونجــمُ اللّيــلِ مســتترُ[3]

فردّ عليه أبو الفوارس بقوله:

فــلا تظنّــوا بــه نقْصًــا فقــد نُثِــرتْ علــيّ منــه بأيــدي مجدكــم دُرَرُ
ومــا حَمَلْــتُم بــه تمــرًا إلــى هَجَــرٍ إذْ كــلُّ زاويــةٍ مــن أرضــكم هَجَــرُ
وأيــن مثْلــي إذا مــا راحَ يمــدحُني أقضى القضاةِ وسارت لي بــهِ السّــيرُ[4]

لقد أراد القاضي أن يعبّر عن لغة الممدوح البليغة، وشاعريته التي تصل الآفاق، فحينما مدح أبا الفوارس صبّ عليه الدّرر، ولا شكّ أنّ أبا الفوارس يعتز بهذ الوصف، وكأنه يحتــاج لهذا المديح، فالممدوح لا يقول الشّعر لمن لا يحتاجه، ولا يقدّم الخير إلا لحاجته، فهو ليس ممّن يحملون التّمر إلى هَجَر التي تشتهر به؛ لذا استدعى الشّاعر المثل العربيّ في صدر البيت، ولكن مع تغيير في بعض ألفاظ المثل: (كمستبضع التّمر إلى هَجَر) [5].

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 361/1.

[2] هو أبو الفدا يحيى بن سعيد بن يحيى، كان معدودًا بين القضاة والأطباء المشهورين، حيث عُيّن طبيبًا فــي المارســتان للسلطان محمود، ثمّ عيّنه الخليفة المقتفي أقضى القضاة. يُنظر: ابن البغدادي، الشيخ ظهيــر الــدين علــي بــن محمــد الكازروني: **مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس**. تحقيق: مصطفى جــواد، المؤسســة العامــة للصحافة والطباعة، بغداد، 1970، ص231

[3] حيص بيص: **الديوان**، 60/3.

[4] السابق، 61/3.

[5] الميداني، أبو الفضل: **مجمع الأمثال**، ص98.

يوم لا يُنادى فيه الوليد

يُضرب هذا المثل (يوم لا ينادي فيه الوليد) في الشّدائد، قال الأصمعي وأبو عبيد: هو أمرٌ لا يُنادى فيه وليده، قال أحدهم: هو أمرٌ جليل شديد لا يُنادى فيه الوليد. وقال آخر: أصله في الغارة: أن تذهل الأم عن ابنها أن تناديه وتضمّه لكنّها تهربُ منه"[1]

ويستحضر الشّاعر هذا المثل في نصوصه، فيقول:

أحبُّ مِطال الوصلِ لا عن رضىً به وهل ترضى نفسُ الفتى ما يؤودها
ولكنْ حياةُ الحبِّ فيه وطوله ولليأسِ حالٌ لا يُنادى وليدُها[2]

ويرى الشّاعر أنّ هذا الحبّ حالة من الألم؛ لطوله وثقله، فقد وصل إلى مرحلة اليأس، تلك الحالة التي لا يُنادى فيه الوليدُ.

فلانٌ تَقيّل أباه

يُضرب هذا المثل (فلانٌ تقيّل أباه)[3] لكلّ من يقلّد أباه ويرث صفاته بخيرها وشرها، حيث يوظف أبو الفوارس هذا المثل حين امتدح الأمير أبا العبّاس الجاواني فقال:

فإذا العيونُ لمحنَ نحو مُحرَّمٍ أغضى ونحو المجدِ ربُّ طِماحِ
أخلاقُ آباءٍ تقيَّلَ منهمُ شِيمَ العُلا يومِيّ ندى وكِفاحِ[4]

وهنا يصف الشّاعر ممدوحه بالكرم، والشّجاعة في المعركة، والتُّقى، وقد أراد الشاعر أن يجعل صفات ممدوحه متوارثة ومتأصلة، فالممدوح شابه أباه في الكرم والشجاعة والتّقى، وهو ممّن ينطبق عليهم هذا المثل.

---

[1] الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: **تهذيب اللّغة**، ج14، 125.

[2] حيص بيص: **الديوان**، 308/1.

[3] العسكري، أبو هلال: **جمهرة الأمثال**، ص199/2

[4] حيص بيص: **الديوان**، 38/1.

سبق السّيف العذل

ويُضرب هذا المثل لحصول أمر ليس بالإمكان ردّه، وقد دأب الشّاعر في مواقف كثيرة على مدح نفسه قبل أن يصل إلى الثّناء على ممدوحه، ففي قصيدته التي مدح فيها جمال الدين نوشروان بدأ بإظهار حزمه وشدّته، بقوله:

خفّضا لا موتَ إلّا بأجلٍ واحذراني سبق السّيفُ العذل[1]

فقد بدأ الشّاعر قصيدته على عادة الشّعراء الجاهليّين في مخاطبة شخصين، وقد ضمّن مديحه المثل المشهور سبق السّيفُ العذل، وقصّة المثل مؤثّرة، "حيث قتل ضُبّة بن أدّ شخصًا شكّ فيه بأنه قتل ابنه سعيدًا غدرًا، وذلك عندما رآه يرتدي بردين، وسيفا لامعًا، فسأله ضُبّة عن مصدرهما، فأخبر الحارث بن كعب ضبّة بالأمر، فعلم ضُبّة بأنّ ابنه قُتل غدرًا، فتناول السّيف من الحارث وقتله فيه، فلامه الناس على ذلك لأنّهم في الأشهر الحرم، فقال مقولته المشهورة (سبق السّيفُ العذل)"[2]، فصار هذا المثل يُضرب عندما يصبح تدارك ما فات مستحيلًا.

مرعى ولا كالسّعدان

يُضرب المثل (مرعى ولا كالسعدان) لمقارنة شيء بأشياء أخرى، وإظهار أفضليّة هذا الشيء، وقد تردّد المثل على ألسنة كثير من الشعراء، وقيل أنّ الشّاعرة الخنساء هي من قالته بعدما سمعت هند بنت عتبة ترثي سادة مضر، فقالت:

أبو عتبة الفيّاض ويحك فاعلمي وشيبة والحامي الذّمار وليدها[3]

فردّت الخنساء: مرعى ولا كالسّعدان[4]، وأكملت ترثي أخاها صخرًا شعرًا بحرقة وألم.

ويستدعي الشّاعر هذا المثل في مدح الوزير الزّينبي، فقال:

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 166/2.

[2] الميداني: **مجمع الأمثال**، 341/1.

[3] السابق، 230/2.

[4] السابق: 230/2.

مقامُك الأشرفُ المحسودُ من مُضرٍ إذا تنازعتِ العلياءَ عدنانُ

وما عليّ الذي شادوه من شرفٍ مرعى خصيبٌ ولكن أنت سعدانُ[1]

فالشاعر يُسقط صفة الرّفعة وعلوّ المنزلة، والشّرف الرّفيع على ممدوحه، ولكن السّامع للوهلة الأولى يظن أنّ الشّاعر يذم ممدوحه، ولا يخطر بباله إلّا السّعدان ذلك الحيوان البشع، ولكن من يعرف أنّ السّعدان هو" أخثر العشب لبناً، والسّعدان من أنجع المراعي، وهو نبات ذو شوك، والإبل تسمن على السّعدان، ويطيب عليها ألبانها"[2] يدرك أنّ شاعرنا يُثني على ممدوحه، ممدوحه، بل هو أفضل من نظرائه من الكبار.

كلّ إناءٍ بما فيه ينضح

يُضرب المثل (كلّ إناءٍ بما فيه ينضح)[3] لكلّ إنسان يختزن في نفسه أمرًا فيخرجه في سلوكه وكلامه، وما زال هذا المثل متكرّراً على ألسنة النّاس، وقد ضمّن الشّاعر المثل مخاطبًا الأمويين دفاعًا عن العلويين، فقال:

ملَكنا فكانَ العفوُ منّا سجيّةً فلمّا ملكتُم سالَ بالدّمِ أبطَحُ

وحلَّلتُم قتلَ الأسارى وطالما غدونا عن الأسرى نَعُفُّ ونصْفَحُ

فحسبُكم هذا التّفاوتُ بيننا وكلُّ إناءٍ بالذي فيه ينْضَحُ[4]

لقد استدعى الشّاعر المثل العربي، فالإناء يخرج منه ما كان فيه، وما يحويه، والنفوس قلوبها مستودعاتها، يخرج منها ما تختزنه، فالأمويون –كما يرى الشّاعر– نفوسهم مريضة تختزن الحقد.

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 212/2.

[2] ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (سعد)، 7/ 187.

[3] الميداني: **مجمع الأمثال**، 108/2.

[4] حيص بيص: **الديوان**، 1/ 47.

نَحت أثلَه

يُضرب المثل (نحت أثَله)[1] لمن يبالغ في الشّتم، والوقيعة في الأصل. ويُقال: فلان ينحت ينحت أثلته إذا قال في حسبه قبيحا، وكل شئ له أصل قديم أو جمع فهو مؤثل "[2].

ويستدعي الشّاعر هذا المثل في قصيدة يمدح فيها الوزير ابن البلدي، فقال:

وكــــم ضَــــحِكٍ كتمْـــتُ بــــهِ دموعًـــا ليَســــلَمَ عنـــــدَه ســــرّي وعقْلـــــي
وينصُــــرُني الـــــوزيرُ علـــى الرَّزايـــا إذا مـــا رامَ دهـــــري نَحْـــتَ أثْلــــي[3]

ويشكو الشّاعر ألمه وحزنه، ولكنّ قربه من الوزير يهوّن عليه المصائب، فهو نصـــيره في الرّزايا، والأيّام الصّعبة، ولو جار عليه الدّهر وانتقص منه، فإنّ الوزير يقف بجانبه.

العفو عند المقدرة

يُضرب هذا المثل (العفو عند المقدرة) للتعبير عن التسامح، وهي مقولة شـــائعة علـــى ألسنة النّاس، وقد أصبح المثل مقولة مشهورة على لسان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنـــه- حين جلس مع أصحابه بعد صلاة الجمعة، وعليه قميص مرقوع الجيب، فقال أحدهم: يا أميـــر المؤمنين، إنّ الله قد أعطاك فلو لبست، فنكّس عمر رأسه مليًّا، ثمّ قال: أفضّل القصد عند الجدّة، والعفو عند المقدرة"[4].

وفي مديح (شرف الدين نو شروان) مرّة أخرى، يستدعي الشّاعر هذا القـــول العربـــيّ المشهور"العفو عند المقدرة "، فيقول[5]:

سليمٌ دواعـــي الصّـــدرِ ســـهلٌ رجوعُـــه أشـــدُّ هـــوىً بـــالعفو إذ كـــان أقـــدرا

---

[1] العسكري: **جمهرة الأمثال**، 244/2.
[2] ابن منظور: **لسان العرب**، مادة، (أثل) 55/1.
[3] حيص بيص: **الديوان**، 186/2.
[4] ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي: **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيـــق: محـــب الـــدين بـــن ســـعيد العمروي، ط1، دار الفكر، 1996، ج45، ص207.
[5] حيص بيص: **الديوان**، 295/1.

فتـــىً لا يريـــدُ العـــزَّ إلّـــا لنجـــدةٍ ولا المـــالَ إلّـــا للّرغائـــبِ والقِـــرى

فالممدوح كما يراه الشاعر يتّصف بعلوّ المكانة، وحبّه لرعيّته، حيث كان دائم التفَقُّد لها، والتّسامح والعفو عند المقدرة.

وظّف الشاعر الحكمة في شعره، وهي خلاصة تجاربه في الحياة، فلا تكاد تخلو قصيدة من حكمة؛ وذلك ليدعم فكرته، وحديثه؛ وليجعلها حديث النّاس، ومن قوله في المُزاح:

لا تحســـبي مـــزحَ الرّجـــالِ ظرافـــةً إنّ المُـــزاحَ هـــو السِّـــبابُ الأصـــغرُ

وقـــد يُحقّـــرُ الملـــكُ المُطـــاعُ ممازِحًـــا ويُهـــابُ سُـــوقيُّ الرّجـــالِ الأوقـــرُ[1]

فالشّاعر يُقرّ أنّ المزاح ممنوع، وأنّه الشّتم الأصغر للرّجل، ويقول إنّ الملوك المهيبـــة تُحقّر بالمزاح الكثير، في حين تُهاب عامّة الرّجال بالوقار والجدّ والبعد عن المـــزاح، فاتّســـاق المعنى مع الواقع، وملاءته له حكمة بحدّ ذاتها، لانّ الحكمة كلّ قول دلّ على خلاصة التجارب في الحياة.

لقد استقى الشاعر قوله في المزاح من الحكم المشهورة، منها: "من كثُر مزاحُه زالـــت هيبته، ومن كَثُر خلافُه طابت غيْبَته"[2]، "والمزاح يأكل الهيبة"[3]

والصمت بحد ذاته حكمة، وخاصّة عند حصول أمرٍ جَلل، والنّاس لا تفهم أبعاده، فعندما عُزل الزينبي من منصبه، ووُلّي شرف الدّين نوشروان الوزارة، عبّر أبو الفوارس عن ألمـــه، فأنشد:

سَـــعِدَ الجهـــولُ وراحَ علمـــي ذائـــدي عمّـــا أرومُ فليتنـــي لـــم أعلـــمِ

واســـتهونَ القـــومُ المقـــالَ ســـفاهةً فالفضـــلُ للسّـــكيت لا للمُـــتكلّمِ[4]

---

[1] حيص بيص: **الديوان**، 210/1.

[2] الماوردي، علي بن محمد بن حكيم: **أدب الدنيا والدين**، تحقيق: محمد كريم راجـــح،ط4، دار اقـــرأ، بيـــروت،1985، ص318

[3] الماوردي، علي بن محمد بن حكيم: **الأمثال والحكم**، تحقيق:فؤاد عبد المنعم أحمد، ط1، دارالـــوطن للنشـــر، المملكـــة العربية السعودية، 1999، 63/1.

[4] حيص بيص: **الديوان**، 258/1.

ففي اللّحظة التي يستهين فيها النّاس بأمر يستحق الاهتمام، يصبح الصمت ضرورة حتميّة؛ لأنه يُكسب صاحبه المحبّة، ويُلبسه ثوب الوقار، ويكفيه مؤونة الاعتذار؛ لذا فالشاعر يؤمن بالحكمة التي تقول:" إلزم الصّمت تغدُ في عقلك فاضلًا، وفي جهلك عاقلًا"[1]

وفي آداب النّفس حكمٌ وأقوال، كاحترام الآخرين من الكبار والشّرفاء، يقول أبو الفوارس:

لا تضعْ من عظيمِ قدرٍ وإنْ كن تَ مُشارًا إليه بالتعظيمِ
فالشّريفُ الكريمُ ينقُصُ قدْرًا بالتّعدي على الشّريفِ الكريمِ[2]

فيحثّ الشّاعر على حسن الاحترام مهما عظم شأن الإنسان، فالكبير العظيم عليه أن يحترم من هو أدنى منه، فإذا حطّ الإنسان الشّريف من قدر الشّرفاء، فلا مقام له عند هؤلاء، وهو ما يتوافق مع الحكم القائلة:" لا تستخفنّ بشريف، ولا تميلنّ إلى سخيف، ولا تقولنّ هجرًا، ولا تفعلنّ شرًّا"[3] و" من استخفّ بشريف ذلّ على لؤم"[4]

والصّبر من أعظم الصّفات الإسلاميّة التي تناولها الشّعراء في نصوصهم، يقول أبو الفوارس:

إصْبر على الشِّدّةِ تحوِ العلا فكلُّ قاسٍ عند ذي الصّبرِ دانِ
ما لقي الضّامرُ من جوعهِ حوى لهُ السّبقَ بيومِ الرّهانِ[5]

لقد تقاطع الشّاعر مع الحكمة التي تقول: " من صبرَ نالَ المُنى، ومن شكرَ حصّن النُّعمى"[6]، والحكمة التي تقول:" بالصّبر على ما تكره تنالُ ما تحبُّ، وبالصّبرِ عمّا تُحبُّ تنال ما ما تكره"[7]، فطريق العلا بالتدبير قد تكون سهلةً وقصيرة، فقال:

---

[1] الأهوازي، أبو الحسين محمد بن الحسن: **الفرائد والقلائد**، دراسة وتحقيق: إحسان ذنون الثامري، ط1، دار ابن حزم، بيروت 2006، ص26.

[2] حيص بيص: **الديوان**، 67/1.

[3] الأهوازي: أبو الحسين: **الفرائد والقلائد**، ص32.

[4] السابق، ص32.

[5] حيص بيص: **الديوان**، 348/2.

[6] الماوردي، علي بن محمد بن حكيم: **الأمثال والحكم**، ص63.

[7] السابق: ص84.

لا يُعجزنّـــك المجـــدُ مـــن بعـــدِهِ وإنْ نَضَـــا عيسَـــك إدْلاجـــا

واسْـــلك إلـــى إحْـــرازِ غاياتـــهِ وعْـــرًا مـــن الـــرَّأي ومِنهاجـــا

كـــم خامـــلٍ صـــارَ بتـــدبيرهِ مـــا بـــينَ أبْنـــاءِ العُـــلا تاجـــا

كـــوَرق التّـــوتِ علـــى ضـــعْفهِ أصـــبحَ بالتّدبيـــرِ ديبـــاجا[1]

ويرى الشّاعر أنّ الأمور بحاجة إلى تدبير مهما صغُرَ أمرُها، فكم من صـغير بحسـن تدبيره صار كبيرًا، كحال ورق التّوت حين يصبح على ضعفه بحسن التّدبير حريرًا.

وخُلاصة القول: إنّ أبا الفوارس وظّف في شـعره المثـل والحكمـة نتيجـة إدراكـه بأهميتهما، فكلاهما يتّصف بالدّيمومة، إضافة إلى تقوية المعنى فـي الشّـعر، أو النّثـر؛ لـذا استحضرها الشّاعر بعضها كاملةً دون تغيير، في حين استحضر روح المثل، أو بعضًـا مـن ألفاظه في كثير من القصائد.

وللمثل بشكل خاص صفة الانتشار، حيث يحفظ النّاس كثيرًا من الأمثلة التـي تتوافـق والواقع المعيش، فإذا استحضرها الشّعر فإنها توصل الرّسالة للسّامع بطريقة مقنعة.

[1] حيص بيص: **الديوان**، 347/2.

الخاتمة

وبعد رحلة مع شاعر كبير من شعراء العصر السّلجوقي حيص بيص، كان لا بدّ من الوقوف على أبرز النتائج التي توصّلت إليها الباحثة، وأهمها:

- أظهرت الدّراسة أنّ أبا الفوارس وظّف الموروث بأشكاله المختلفة في شعره بصورة جليّة، بحيث أصبح ظاهرة أسلوبيّة تميّز بها ديوانه، فلم تخل قصيدة إلّا واستحضر فيها الموروث الدّيني، والأدبي، والتاريخي، وقد تجتمع هذه الموروثات في قصيدة واحدة.

- كشفت الدّراسة عن أكثر الموروثات توظيفًا في شعر أبي الفوارس هو الموروث الديني، سواء ما يتعلّق بالآيات، أو الألفاظ المعبّرة عن القيم الدّينيّة، أو القصص والشخصيات القرآنية التي تحمل دلالات ذات قيمٍ عظيمة: كالصبر، والكرم، والأمانة...

- أظهرت الدّراسة أنّ أبا الفوارس تأثّر كثيرًا بالشعراء في العصور المختلفة: الجاهلي والإسلامي، والأموي والعبّاسي، علمًا أنّه كان أكثر تأثّرًا بشعراء العصر العبّاسي.

- تعكس الدّراسة اعتزاز الشّاعر بالموروث العربي، وخاصّة المثل العربي الذي تختزنه الذّاكرة العربيّة، فضلًا عن الحكمة التي تمثّل مرجعًا لتعلُّم القيم، إلى جانب الموروث الديني.

- كشفت الدّراسة عن موهبة الشاعر الفنيّة في توظيفه الموروث الأدبي، وفي التّشكيل الفنّي للموروث بصفة عامّة، فبالإضافة إلى تأثّره بالشخصيّات الأدبيّة، وربطها بالممدوحين، وظّف الحكم والأمثال والتي جاءت تلخيصًا لتجارب الشّاعر؛ ممّا يدلّ على أننا أمام شاعر أدرك مواطن القوّة التعبيريّة لدى سابقيه، فأثرى بها نصوصه، وأعاد توجيهها بما يخدم نصوصه.

- كشفت الدّراسة من خلال توظيف الموروث التّاريخي عن مدى إعجاب أبي الفوارس بالأحداث التّاريخيّة وشخصيّاتها في العصور المختلفة؛ ممّا دفعه إلى استدعائها، ليربطها بالوقائع التي افتخر بها، والشخصيّات التي مدحها، وهي شخصيّات ذات مراكز عليا في العصر السّلجوقي.

قائمة المصادر والمراجع

المصـــادر

القرآن الكريم

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن الجزري: **أسد الغابة في معرفة الصـــحابة**، ط1، دار بن حزم، بيروت، 2012.

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن الجزري: **الكامل في التاريخ**، راجعه: محمد يوســف الــدقاق، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: **تهذيب اللّغة**، تحقيق: محمد عوض مرعــب، ط1، دار إحياء التراث، 2001.

الأصبهاني، عماد الدين محمد بن حامد: **خريدة القصر وجريدة العصر** (القسم العراقي): تحقيق: محمد بهجة الأثري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1955.

الأصبهاني، عماد الدين محمد بن حامد، **تاريخ دولة آل سلجوق**، شركة طبع الكتــب العربيــة، مصر، 1900.

الأندلسي، محمد بن علي بن سعيد (384 – 456 هــ): **جمهرة أنساب العرب**، تحقيــق: عبــد السلام هارون، ط 5، دار المعارف، القاهرة، (د–ت).

الأهوازي، أبو الحسين محمد بن الحسن، **الفرائد والقلائد**، دراســة وتحقيــق: إحســان ذنــون الثامري، ط1، دار ابن حزم، بيروت 2006.

أوس بن حجر: **ديوانه**، تحقيق: محمد يوسف نجم، ط3، دار صادر، بيروت، 1979.

البكري الأندلسي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ، **معجم من اســتعجم مــن أســماء الــبلاد والمواضع**، تحقيق: مصطفى السقّى، عالم الكتب، بيروت، 2009.

ابن البغدادي، الشيخ ظهير الدين علي بن محمد الكازروني: **مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس**، تحقيق: مصطفى جواد، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، بغداد، 1970.

البيضاوي، القاضي ناصر الدّين أبو سعيد الشيرازي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ط1، دار البيان العربي، القاهرة، 2002.

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي: **ديوان أبي تمام الطائي**، شرحه، محيي الدين الخياط، نظارة المعارف العمومية، (د_ ط)، 1994.

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي: **ديوان الحماسة**، شرح العلّامة التبريزي، دار القلم، بيروت، (د_ ت).

ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي: **النجوم الزاهرة**، دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة، (د – ط)، 1963.

الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، (ت 816 هـ): **معجم التعريفات**، تحقيق: محمد حسين المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د – ط).

الجمحي، محمد بن سلّام: **طبقات الشعراء**، دراسة: طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي: **التذكرة الحمدونية**، تحقيق: إحسان عبّاس، ، ط1، دار صادر، بيروت، 1996.

الحموي، شهاب الدّين ياقوت: **معجم الأدباء**، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1993.

الحموي، شهاب الدّين ياقوت: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت،**1977** .

حيص بيص، الأمير شهاب الدين أبو الفوارس: **الديوان**، تحقيق مكّي السيد جاسم، وشاكر هادي شكر، منشورات وزارة الإعلام، العراق،.1974

ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن بكر: **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**: تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972.

الخنساء، تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشّريد: **ديوان الخنساء**، تحقيق: حمدو طماس، ط2 دار المعرفة، بيروت، 2004.

الدبيثي: الحافظ أبو عبد الله محمد بن سعيد (558 – 637 ه): ذيل تاريخ مدينة السلام، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006 .

الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمان: **تاريخ الإسلام**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتب العربي، ط1، بيروت، 1996.

الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمان: **سير أعلام النبلاء**: تحقيق: بشّار معروف، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت،1999.

الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمان: **العبر في خبر من غبر**: دار الفكر، ط1، بيروت.

ذو الرّمة، غيلان بن عقبة: **ديوانه**، تقديم: أحمد حسن بسج، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن الأسدي: **العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده**، تحقيق: محمد محيي الدين، دار الجيل للنشر والتوزيع، ط5، 1981.

الزبيدي، محمند مرتضى الحسيني، **تاج العروس**، تحقيق: مصطفى حجازي، مطبعة الكويت، وزارة الإعلام، 1973.

الزّركلي، خير الدين: **الأعلام**، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002.

الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر: **تفسير الكشّاف، ط1**، دار المعرفة، بيروت، 2002.

الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر: **المستقصى في أمثال العرب**، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1987.

الزّوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين: **شرح المعلّقات العشر**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1983.

زهير بن أبي سُلمى بن رباح المزني: **ديوان زهير**، شرحه وقدّم له: علي حسن فاعور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988.

السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي: **طبقات الشافعية الكبرى**: تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، 1918.

السموأل بن غريض الأزدي، ديوان السموأل، تحقيق عيسى سابا، مكتبة صادر، بيروت، (د– ط) 1991.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **المزهر في علوم اللّغة**، تحقيق: محمد احمد جاد المولى، (ب – ط)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1960.

الشّافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس: **ديوانه**، تحقيق: محمد عبد المنعم الخفاجي، ط2، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1985م.

الصابوني، محمد بن علي الحموي: **تكملة إكمال الإكمال**: تحقيق: مصطفى جواد، نشر المجمع العلمي العراقي، 1957.

الصابوني، محمد بن علي الحموي: **صفوة التفاسير**، دار الصابوني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1960.

الصّفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: **الوافي بالوفيّات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وآخرين، ط1، دار إحياء التراث، بيروت 2000.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **تاريخ الطبري**، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، مصر، (د – ت).

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي: **العقد الفريد**، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، ط1، دار الكتب العلمية، 1983.

أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري: **كتاب النقائض**، ضبطه: خليل عمران المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي: **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق: محب الدين بن سعيد ، ط1، دار الفكر، 1996.

العسكري، أبو هلال: **جمهرة الأمثال**، تحقيق: محمد أبو الفضل، وعبد المجيد قطامش، ط2، دار الجيل، بيروت.

العسقلاني، الحافظ شهاب الدين أبو الفضل بن حجر، (ت 852هـ): **لسان الميزان**، مؤسسة الإعلام للمطبوعات، ط2، بيروت، 1971.

علي بن أبي طالب: **ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب**، جمعه: عبد العزيز الكرم، ط1، 1988.

العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد أبو الفلاح العكري: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: محمود الأرنؤوط، خرّج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، دار بن كثير، دمشق،، بيروت، ط6، 1986 .

ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد: **الأنباء في تاريخ الخلفاء**، تحقيق: قاسم السامرائي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1999.

عمر بن معديكرب، الزبيدي: **ديوان عمرو بن معديكرب الزبيدي**، جمعه: مطاع الطرابيشي، ط2، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق،.1985.

عنترة بن شدّاد العبسي: **ديوان عنترة**، ط4، مطبعة الآداب، بيروت، 1893.

ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين أحمد الشيباني: **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، تحقيق: محمد الكاظم ط1، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران،1416هـ.

ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين أحمد الشيباني: **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب**، تحقيق: د. مصطفى جواد، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1963.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدّينوري: **الشعر والشعراء**، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1958 .

القلقشندي، أبو العبّاس أحمد بن علي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، (د – ط)، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922 .

ابن كثير، أبو الفدا الحافظ عماد الدين اسماعيل الدّمشقي: **البداية والنهاية**، مكتبة دار المعارف، بيروت، 1991.

ابن كثير، أبو الفدا الحافظ عماد الدين إسماعيل الدّمشقي: **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أبو عبد الله عبد الحليم محمود بن نصر، ط1، مصر، 2010.

الماوردي، علي بن محمد بن حكيم: **أدب الدنيا والدين**، تحقيق: محمد كريم راجح، ط4، دار اقرأ، بيروت،1985.

الماوردي، علي بن محمد بن حكيم: **الأمثال والحكم**، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، ط1، دارالوطن للنشر، المملكة العربية السعودية، 1999.

المتنبي، أحمد بن الحسين بن الحسن الكندي: **ديوان أبي الطيب المتنبي**، شرحه: أبو البقاء العكبري، ضبطه مصطفى السّقا وآخرون، دار الفكر، بيروت، 1983.

مروان بن أبي حفص: **ديوان مروان بن أبي حفص**، شرح: حسين عطوان، دار المعارف، ط3، القاهرة، 2002 .

مسلم، بن الحجاج بن القشيري: **صحيح مسلم**، ط 2، دار السلام للنشر والتوزيع، 2000

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**، ط4، دار صادر، بيروت،2004.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد: **مجمع الأمثال**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مؤسسة الطبع والنّشر التابعة للأستانة، إيران، 1987.

اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد: **مرآة الجنان**، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

المراجع

أحمد، محمد عبد القادر: **دراسات في التراث العربي**، ط1،مكتبة الانجلو المصرية، 1979

أمين، محسن: **أعيان الشيعة**، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 1986.

التونجي، محمد: **حول الأدب في العصر السلجوقي**: مكتبة قورينا، ط1، بنغازي، 1974.

الجابري، محمد عابد: **التّراث والحداثة**.ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، 1991

حسن، إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، مكتبة النهضة، ط14، بيروت،1996 .

أبو الخشب، إبراهيم علي: **تاريخ الأدب العربي** – العصر العباسي الثاني، دار الفكر العربي، (د – ط)، 1974.

الزيّات، أحمد حسن: **تاريخ الأدب العربي**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ط6، 1935.

عبد الصّبور،صلاح: **قراءة جديدة لشعرنا القديم**، منشورات: اقرأ، بيروت، (د – ط).

ضيف، شوقي: **تاريخ الأدب العربي** – عصر الدول والإمارات – دار المعارف، ط4، القاهرة.

العنتيل، فوزي: **الفلوكلور ما هو؟ (دراسات في التراث الشعبي)**، ط2، دار المسيرة، القاهرة، 1987.

الفاخوري، حنا: **تاريخ الأدب العربي القديم**، ط1، دار الجيل، بيروت، 2000.

فضل، صلاح، **إنتاج الدلالة، قراءة في الشعر والقصص والمسرح**، هيئة قصور للثقافة، 1993.

كحّالة، عمر رضا: **معجم المؤلفين**، (د – ت)، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت.

لويس، برنارد: **الحشاشون فرق ثورية في تاريخ الإسلام**: تعريب: محمد العزب موسى، مكتبة مدبولي، ط2، 2006.

اليوسي، الحسن، **زهر الأكم في الأمثال والحكم**، تحقيق: محمد حجي، ج1، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1981.

رسائل ماجستير

الصيّاد، أيمن السيد علي: **(بناء القصيدة في شعر حيص بيص) – دراسة في المضامين وآليات النص**، دار الكتب العلمية، المدينة المنورة، 2004.

المساعيد، عواد حسن، **التناص في شعر علي ابن الجهم**، رسالة ماجستير، 2012.

مراجع الكترونية

الموسوعة العربية، زُرارة أُسرة. www_ency.com

ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. ar.wikipedia.org

الدوريات

البياتي،عبد الوهاب: **الشّاعر العربي المعاصر والتّراث**، مجلة فضول، م1، ع4، 1981.

جاسم محمد جاسم، والزبيدي، نصرة أحميد: **(اللغة الحماسية في شعر أبي فراس وأبي الفوارس الحيص بيص)**، مجلة جامعة الأنبار، 2009.

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

Harnessing the Hereditary in Poetry of Abu Al- Fawaris (Hais Bais)

By
Iman Izat Mahmud Abed

Supervisor
Dr. Abdul Khaliq Issa

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Reguirement for the Degree of Master Arabic language and Literature, Faculty of Graduate studies, An-Najah National university, Nablus, Palestine.

2018

Harnessing the Hereditary in Poetry of Abu Al- Fawaris (Hais Bais)

By
Iman Izat Mahmud Abed
Supervised by
Dr. Abdul Khaliq Issa

Abstract

This study investigates the instances of Intertextuality in the poetry of Abu Al- Fawaris. Furthermore, religious Intertextuality is prevalent to the extent that the poet employs Quranic words along with their senses and inner characteristics in order to give his poetry excitement and strength. Then, he delves into history talking about historic events and characters in his poetry highlighting the great poets by mentioning them going along with their poetry to be a member in the society of the great poets and creative writers. In addition, the characters and events are tackled in the instances of Intertextuality taking in consideration their chronological order.

The inductive, analytical and descriptive method is adopted in order to highlight the instances of intertextuality, analyzing it by focusing on its beauty, and then linking textuality with the meant meaning.

This study is divided into a prologue, three chapters and a conclusion.

In the prologue, the researcher talks about the situations of the Seljuk Era in which the poet grew up, and then moved to talk about the poet himself in terms of his name, origin, breeding and scientific status.

The first chapter highlights religious Intertextuality in the poetry of Abu Al- Fawaris dividing this chapter into three themes, namely: Intertextuality with the Quranic words, Intertextuality with the senses of the Quran and the characters of the prophets and their stories in the Quran.

The second chapter talks about the historical Intertextuality that it includes the events and characters which the poet employed in his poetry and the impact of Intertextuality in the artistic and aesthetic formation.

The third chapter discusses the literary Intertexutality in the poetry of Abu Al- Fawaris. It is divided into three sub- sections, namely Intertexutality with: the poets of the Jahili and Islamic Initiation Era, the Umayyad and Abbasid poets and the inherited sayings (proverbs and sagacious words). Thus, the great knowledge of the poets about the ancient and literary heritage and their influence on his characters is a sign for his culture and well-roundedness about others results.

Finally, this study is concluded with the most important results including that the poet takes his inspiration from religious symbols employing Quranic words and structures making his poetry influential.

Employing historical and literary Intertexutality reflects the cultural database of the poet making him a record for the historical and cultural events especially in the Seljuk Era.